حوار الثقافة
الثقافة حوار

جان - لويس إيزين

من أنت سيد لوكليزيو؟

@ketab_n

30.4.2015

ترجمة
محمود عبد الغني

@ketab_n

مأمونة

حوار الثقافة
الثقافة حوار

جان - لويس إيزين

من أنت سيد لو كليزيو؟

@ketab_n

ترجمة
محمود عبد الغني

مأرمة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

من أنت سيد لوكليزيو ؟

هذه ترجمة كاملة لحوار مطول مع

ج.م.ك ـ لوكلوزيو

AILLEURS

«تجربة الخيال الخالص»

ترجمة : محمود عبد الغني

حقوق المترجم محفوظة

الطبعة الأولى : 2009

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق ©

أزمنة ®

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤

ص.ب : ٩٥٠٢٥٢

عمّان ١١١٩٥ الأردن

شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

E.Mail:info@azminah.com

Website:http://www.azminah.com

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, stored in all retrieval system or trasmitted in any form or by any mean without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

تصميم الغلاف : أزمنة (إلياس فركوح)

فرز وسحب الأفلام : زمرّد

الترتيب والإخراج الداخلي : أزمنة (نسرين العجو، إحسان الناطور)

الطباعة : جمعية عمّال المطابع التعاونية / الأردن

تاريخ الصدور : كانون الثاني / يناير 2009

Twitter: @ketab_n

المحتوى

مقدمة المترجم ____ 5

1- من الأشرطة المصورة إلى الرواية ____ 15

2- الحلم المكسيكي ____ 31

3- تاريخ مرتبط بالغرابة ____ 47

4- السفر...السفر ____ 63

5- الكتابة مثل التحليق في السماء ____ 77

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

مقدمة المترجم

ولد جان ـ ماري لوكليزيو في 13 أبريل 1940 بـ«نيس» Nice . حاز سنة 1963 على جائزة «رونودو» Renaudot ، وسنة 2008 على جائزة نوبل للآداب . من أهم أعماله «المحضر» Le procés-verbat (رونودو 1963) ، «صحراء» Désert ، و «الباحث عن الذهب» Le chercheur d'or . عرف شهرة منقطعة النظير منذ روايته الأولى «المحضر» . تحمل أعماله الأولى طابع التجديد الشكلي الذي طبع أعمال أقطاب الرواية الجديدة بفرنسا . وبتأثير من أصوله العائلية المختلطة ، ومن أسفاره ورحلاته الكثيرة ، التي مكنته من الوقوف العميق على الثقافة الأمريكوهندية ، كتب «لوكليزيو» روايات ذات طابع هذياني وأسطوري («صحراء» و «الباحث عن الذهب») ، وروايات أخرى لها بصمة الشخصي والسيرذاتي والعائلي («الإفريقي» L'africain) .

وقد نال جائزة «نوبل للآداب» باعتباره كاتبا مجددا كتب المغامرة بقلم شاعري، وروائيا مكتشفا للإنسانية بعيدا عن الحضارة المهيمنة .

1 . الأصول والمسارات :

ينحدر والده الطبيب «راوول لوكليزيو» ، وأمه «سيمون لوكليزيو» ، من جد واحد هو السيد «أوجين لوكليزيو» . هاجر «راوول» و«سيمون» إلى جزيرة «موريس» في القرن الثامن عشر ، وتجنسا بالجنسية البريطانية عندما التحقت الجزيرة بالإمبراطورية الانجليزية . لذلك يعتبر «لوكليزيو» نفسه حامل ثقافة «موريسية» ولسان فرنسي .

كتب قصصه الأولى وهو في الربيع السابع عشر ، داخل مقصورة المركب الذي

Twitter: @ketab_n

كان يقوده مع أمه «سيمون» وهما متوجهان إلى «نيجيريا» للالتحاق بوالده الذي بقي في هذا البلد الإفريقي خلال الحرب العالمية الثانية . ومنذ ذلك الوقت بقيت الكتابة والسفر شيئان ضروريان لقلم «لوكليزيو» .

تابع دراساته بالثانوية الأدبية الجامعية في «نيس» ، بإكس ـ أون ـ بروفانس ، وفي لندن ثم «بريستول» . و في سنة 1964 أنجز بحثا نال عنه شهادة الدراسات العليا في موضوع «**الوحدة في شعر هنري ميشو**» La solitude dans l'oeuvre d'Henri Michaux .

منذ سن الثالثة والعشرين ، أصبح مشهورا بفضل روايته «المحضر» ، التي اعتبرها النقاد أقرب ، من الناحية الجمالية ، «إلى رواية ألبيركامي» في روايته «الغريب» L'étranger ، وإلى الأبحاث السردية التي جاء بها تيار الرواية الجديدة.

في سنة 1967 انخرط في الخدمة العسكرية في «تايلاندا» بصفته جنديا مساعدا . لكن سرعان ما تم نقله إلى المكسيك لإتمام خدمته . شارك في تنظيم مكتبة المعهد الثقافي الفرنسي في أمريكا اللاتينية ، وهناك بدأ دراسة لغة الـ «مايا» في جامعة «مكسيكو». وبين 1970 و1974 أقام مع هنود «أمبيراس» و«ووناناس» ، في باناما . وقد شكل هذا العيش مع الهنود والانخراط في نمط حياتهم تجربة غيّرت كل كيانه . وبعد زواجه سنة 1961 من «روزالي بيكومال» Rosalie Piquemal ، التي رزق منها ببنت اسمها «باتريسيا» ، تزوج مرة ثانية سنة 1975 بـ «جميعة» المنحدرة من الصحراء المغربية ، ورزق منها بابنته الثانية «أنّا» Anna . كتب هو وجميعة كتاب «رجال الغيوم» Gens des nuages .

ترجم سنة 1970 كتاب «نبوءات شيلام بالام» ، وهو عمل أسطوري من إبداع هنود الـ «مايا» . بعد أن قدم أطروحة في التاريخ حول الـ «ميشواكان» (وسط المكسيك) بدأ يدرّس في جامعات بانكوك ، مكسيكو ، بوسطون ، أوستان ، وألبيكيرك .

Twitter: @ketab_n

ابتداء من سنة 1970 ، عرف أسلوب الكتابة لديه تغييرا جذريا . فبدأ يعطي الأهمية لموضوعات الطفولة والأقليات والسفر . ومن هنا كسب جمهورا واسعا . وفي 1980 كان «لوكليزيو» أول من حاز الجائزة الأدبية الكبرى «بول موران» ، التي منحتها له الأكاديمية الفرنسية عن روايته «صحراء» . وفي سنة 1990 أنشأ رفقة «جان غروسجان» «سلسلة» فجر الشعوب» L'aube des peuples ، في دار النشر «غاليمار» . وهي سلسلة متخصصة في نشر النصوص الأسطورية والملحمية القديمة والكلاسيكية . وفي سنة 2007 كان من بين أربعة وأربعين كاتبا الموقعين على بيان «من أجل أدب ـ عالم» . لذلك ليس من الغريب أن يرى أن الرواية هي «أفضل وسيلة لفهم العالم المعاصر» .

وفي سنة 2008 تزامن منحه «جائزة نوبل للآداب» مع صدور روايته «لازمة الجوع» Ritournelle de la fain . ومباشرة بعد الجائزة قال معلقا للصحافة «إن هذا التتويج لن يغير شيئا من طريقتي في الكتابة» .

2 . شكلانية السنوات الأولى :

مع ظهور رواياته الأولى في الستينات (**المحضر ـ الحمى ـ الطوفان**) كان الكاتب الشاب قد حقق اقترابه من شكلانية الرواية الجديدة ، خصوصا من «جون بيريك»، و«ميشيل بيتور» ، و«ناتالي ساروت» . أما المواضيع التي تطرقها فهي: المعاناة ، الخوف ، والألم في الوسط الحضري. وذلك ما جعل منه وريثا شرعيا لتساؤلات وبلاغات الوجوديين ، خصوصا «ألبير كامو» .

3 . تأثير الأسفار والاكتشافات الثقافية :

بدأ «لوكليزيو» في الستينيات يكتب روايات أكثر ذاتية ، وأقل شكلانية ، دون أن يفقد طاقته الثورية . فظهرت له روايات تحاول اكتشاف أماكن أخرى ، إضافة إلى

Twitter: @ketab_n

انشغالاته البيئية (تيرا أماتا ـ كتاب الهروب ـ الحرب) وتأثيرات الأسفار والرحلات التي قام بها ، وكذا إقامته عند الهنود في المكسيك («العمالقة» Les Géants) . كما ظهرت له مقالات ودراسات غذّتها الثقافة الهندية . كل ذلك دون نسيان البحث عن سبل للهرب من المجتمع الغربي المعاصر .

تمتد التأملات الثقافية للوكليزيو إلى تأثيرات أخرى . فهو بنفسه يتحدث عن قراءاته للشاعرين «جون كيتس» John Keats و«و . هـ . أودن» W .H .Auden. ويذكر تأثره العميق بـ «ج . د . سالنجر» J .D .Salinger ، الذي يعاود قراءته من حين إلى آخر ، وبـ «ويليام فولكنر» و«أرنست همنغواي» . فمن الأول استفاد أسلوب المواجهة بين الفرد والمجتمع . ومن الثاني تعلم الغنائية والمونولوغ الداخلي . ومن الثالث استوعب مسعى الكاتب الرحّالة . كما كان لا يخفي تأثره بصوفية «لوتريامون» Lautéréamont ، الذي نشر حوله العديد من الدراسات والمقالات . وبالعديد من أفكار «هزي ميشو» ، خصوصا عدوانيته تجاه المجتمع ، واستعماله للمخدرات باعتبارها عاملا مساعدا على توسيع الوعي . دون نسيان تأثره بالقطيعة الروحية لدى «أنطونان أرتو» Antonin Artaud ، الذي يعتبره رائد «المعرفة بأرض جديدة كل شيء فيها ممكن (...) والعودة إلى أصول العلم والمعرفة نفسها (...) ذلك الحلم الذي يمزج بين العنف والتصوف» .

إن «لوكليزيو» ، في التحليل الأخير ، قارئ نهم ، شغوف باكتشاف الآفاق الجديدة، كما يظهر ذلك جليا من خلال المقدمات التي يكتبها لأعمال كتّاب من أصول متنوعة: «مرغريت ميشيل» ـ لاوشي ـ كوماس موفول ـ ف . س . نايبول ... وآخرين .

4 . الكاتب ولغته :

ولد لوكليزيو مزدوج اللغة من أب إنجليزي وأم فرنسية . في مراحله الأولى ، عندما شرع في الكتابة ، عاش في انجلترا ، فتولدت لديه فكرة الكتابة بالانجليزية .

Twitter: @ketab_n

لكنه كتب بالفرنسية احتجاجا على احتلال الإنجليز لجزيرة موريس ، التي هاجر إليها أجداده البروتون . وبواسطة اللغة الفرنسية ، «اللغة الهجينة» ، شعر بالتوحد مع الثقافات القديمة ، ومع بدايات اللغة ، ومع الهنود ، عن طريق الإسبان الذين غزوا أمريكا Les Conquistadors . للوكليزيو ، إذن ، هوية متوسطية مخففة باشمئزازه من العالم الصناعي .

5 . اللغة الموسيقى:

حاول العديد من الدارسين البحث عن القرابة التي تجمع بين «لوكيلزيو» وموسيقى ال «بوب» POP ، بسبب وجود الإيقاعات في رواياته . فهو كاتب يعتبر الرقص والكتابة نشاطان ممتلئان بالطاقة ، حيث اللغة ليست إلا أداة ثانوية للوصول إلى الحياة .

يعتبر «لوكليزيو» أن الموسيقى هي الملاذ من عنف الكلمات المسيطر في الواقع. وهو في ذلك يتفق مع أطروحة «جاكلين ميشيل» Jacqueline Michel التي تعتبر الموسيقى جزءا من مملكة الصمت ، في مواجهة الكلمات ، لكنها تمنح الرغبة في الكلام . ويبقى الشيء المثالي هو كتابة الموسيقى الخاصة في تناغم مع الإبداع . وفي هذا السياق كتب «دي سكانو» Di Scanno بخصوص «المجهول فوق الأرض» (L'inconnu sur la terre) 1978 أن اللغة بالنسبة لليكليزيو هي موسيقى «عليها أن تلتحق بأغنية الريح ، والبحر ، والعالم ...» .

وأغنية الهندي ، التي يمتدحها لوكليزيو في لحظة من لحظات هذا الكتاب ، هي أغنية قوية غالبا ما تكون مصحوبة بالخمر والمخدرات التي تساعد المغني على الوصول إلى صوته الداخلي .

Twitter: @ketab_n

6 . أنساق الفكر :

تأثر «لوكليزيو» بالعديد من الأنساق الفكرية ، خصوصا أثناء رحلاته وأسفاره العديدة. فوراء نصوصه ، الأدبية والفكرية نلمس نوعا من «التوليف الأسطوري» حسب تعبير «فريدريك ويسترلوند» . وهو توليف ومواجهة تقع بين التفسير العقلاني العلمي للعالم ، وبين التواصل الصوفي المعتمد على تجربة وحياة الرواة القدامى. فخلال دراسته كان منجذبا إلى الميثولوجيا الإغريقية والرومانية. بعد ذلك تشبع بعناصر من البوذية والزن ونمط عيش الهنود . لذلك نجد «لوكليزيو» يتمتع بنوع من الديالكتيك بين متناقضات نشيطة: الإنسان/العالم. الإنسان/ الحيوان. الخيال/ الواقع . الجمهو ، المجموعة/ الفرد . النظام/ الفوضى . الأفقي/ العمودي. قبولادي/بعد ولادي . الضوء/ الظل . والوسط الطبيعي/ الوسط المديني... وهذا ما يدافع عنه بقوة طيلة هذا الكتاب .

7 . الجوائز :

1963 : جائزة «رونودو» ، عن رواية «المحضر» .

1972 : جائزة «فاليري لاريو» (بالتساوي مع «فريدا ويسمان») .

1980 : جائزة الأدب الكبرى «بول ـ موزان» عن كل أعماله .

1994 : تم اختياره أكبر كاتب فرانكفوني على قيد الحياة من طرف قرّاء مجله «لير» Lire .

1996 : جائزة مشاهدي تلفزيونات فرنسا ، عن روايته «الأربعينية» La Quarantaine .

1997 : جائزة بيتربوغ Puterbangh .

1998 : جائزة أمير موناكو ، عن مجمل أعماله ، بمناسبة صدور روايته «سمكة ذهبية» Poisson d'or .

Twitter: @ketab_n

2008: جائزة «ستيغ داجرمان» عن مجمل أعماله .

2008: جائزة نوبل للآداب .

8 . من هو جان ـ لويس إيزين؟

ولد محاور «لوكليزيو» الصحفي والكاتب «جان ـ لويس إيزين في 24 سبتمبر/ أيلول 1948 في «كابورغ» . ناقد أدبي في أسبوعية «لونوفيل أوبسيرفاتور» وعضو المنبر الأدبي «قناع وقلم» "Masque et Plume" بإذاعة «فرانس أنتير» . وهو أيضا روائي أصدر:

- La chantepleure (1983) .
- Un ténébreux (2003) .
- Les écrivains sur la sellette (1981) (essais) .
- Du train ou vont les jours (1994) (essais) .

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

1
من الأشرطة المصورة إلى الرواية

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

□ **جان ـ ماري لوكليزيو ، نجلس الآن في حانة «بونت ـ رويال» Pont - Royal. وهومكان مألوف عند الكتاب ، كما نعرف جيدا ، ولكننا لا نلتقي بك هنا إلا نادرا.هل أنت «رجل مقاهي» ؟ لا نتخيلك كذلك.**

■ بالعكس من ذلك ، أنا أحب كثيرا المقاهي في باريس على الخصوص ، فأنا أجدها ممتعة. فيها حركة ، ونلتقي فيها بالناس ، وتحدث فيها أحيانا أشياء رائعة.

□ **هل تصل إلى حد الكتابة في المقهى ؟**

■ يحدث ذلك ، نعم. إن المقهى ليس هوالمكان المثالي ، بسبب الضجيج ، لكن ذلك يثيرني.

□ **هل تستطيع أن تكتب كتابا كاملا في حانة ، مثل «ناتالي ساروت» أو «سارتر»؟**

■ لا أظن أنني أستطيع ذلك. لا أستطيع تأليف كتاب كامل في نفس المكان. سيكون بالنسبة لي مجهودا فوق بشري أن أبقى كل الوقت في نفس المكان من أجل تأليف كتاب. إذن ، ذلك يشبه شيئا ما إجراء مباراة. غير أنني بكل تأكيد أستطيع أن أكتب في المقهى ، لأنك في الواقع ، عندما تكتب وأنت تنظر إلى الآخرين وهم يعيشون ، تستطيع ، بقوة الأشياء ، أن تأتي بشيء جديد.

Twitter: @ketab_n

□ **ما هي الأمكنة التي تكتب فيها ؟ أمكنتك المفضلة ؟ ماهي طقوسك ؟**

■ أظن أنني لا أملكها. ما يهمني أكثر هوالورق. أحس بألم في عيني بسرعة ، والورق الناصع البياض يضايقني. أما الباقي ـ المكتب ، المكان ـ فلا يهمني. في الواقع ، عندما أكتب لا أسمع الضجيج. أستطيع أن أكتب وسط الفوضى ، ذلك لا يضايقني.

□ **قرأت في مكان ما ، إذا لم تكن قلته لي ، أنك كتبت رواية «المحضر» le procès verbal على أحد الشواطئ.**

■ ذلك صحيح ، إلى حد ما. في تلك المرحلة كنت أقرأ كثيرا على الشاطئ. إنه مكان رائع للقراءة. هناك أتلفت عيني.

□ **ألأن الشمس تجعل الصفحة باهرة؟**

■ نعم ، فهي تصبح بيضاء جدا. .. كنت أعيش كثيرا على الشواطئ ، وبسبب مبالغتي في السفر إلى بلدان حارة جدا ، كنت أذهب إلى الشواطئ.

□ **هل الشاطئ يريحك أكثر من المكتب أثناء الكتابة ؟**

■ نعم ...إذا كنا نحتاج حتما إلى شيء مسطح ، فإنه لن يكون مريحا ، ولكننا إذا كنا نكتب في كراسات ، أوفي أوراق فإنه ليس متعبا.

□ **أتصور أن طقوسك تتغير إذا كنت تكتب رواية أو دراسة.**

■ ليس كثيرا ، لا ، النتيجة هي التي تختلف. فيما يخص اللحظة التي أكتب فيها ، فإن الأمر ليس مختلفا ، لا أظن أنني أستطيع أن أتجرد من الأحاسيس. إنني أحس بها كيفما كان الجنس الذي أكتبه. إذا كنت أرغب حقا في الكتابة ، فإن الإيقاع ، طبعا ، يختلف ، واللغة لن تكون هي نفسها. لكنني أظن أنني من الناحية الانفعالية جد معني.

Twitter: @ketab_n

□ وفي الأمكنة التي تتحرك ، القطارات مثلا؟

■ نعم هذا ما أحبه كثيرا. أحب كثيرا الكتابة في القطارات. لكن في قطارات الماضي. كتبت في قطارات المكسيك لأنها كانت تسير بسرعة أربعين كلمترا في الساعة. بل إنها كانت تتوقف أحيانا في قرى قاحلة وتبقى عدة ساعات دون أن تتحرك. قطارات اليوم ، في فرنسا ، تسير بسرعة فائقة ، فتصبح الكتابة صعبة. السرعة تحرك القلم.

□ وقطارات المكسيك ، ألا تحرك القلم؟

■ بشكل أقل. أولا هي تبقى عاطلة لمدة طويلة أحيانا ، فنضطر إلى الانتظار. يحدث أن تكون هناك سكة واحدة ، فيضطر الربان إلى انتظار مرور القطار المعاكس...

□ ما تحبه في قطارات المكسيك ، في العمق ، هو أنها لا تتحرك.

■ ما أحبه فيها أنها لا تسير بسرعة إضافة إلى أن هناك شيء رائع في قطارات المكسيك ـ لا أعرف ما إذا كنت قد سافرت إلى المكسيك ـ هذا الشيء الرائع هو تلك المقصورة المخصوصة للبضائع في مؤخرة القطار ، حيث يمكنك أن تتكئ على المتراس لترى المناظر. أجد ذلك جيدا . إنه يعجبني.

□ هل تغيرت عاداتك وطقوسك مع تزايد أعمالك الأدبية؟ في البداية كنت كاتب المدينة ، كاتب العالم العصري ، كاتب الحضارة الآلية ، الكهرباء ، والسيارة ، الحديد والإسمنت ، العنف وأيضا العنف الحضري ، وبعض أشكال الحرب ، ثم وبلا شعور ، تحولت إلى كاتب الصمت ، الصحراء ، الشفافية والتناغم. ليست هناك جملة في رواياتك ، اليوم ، إلا وهي كشف عن اندماج الكتابة بالطبيعة. لا أعرف ما إذا كان هذا التغير قد وقع مع نشر روايتك «أسفار إلى الجانب الآخر» Voyages de l'autre côté. لكننا أيضا يمكن أن نرى هذا المنعطف في «كتاب

Twitter: @ketab_n

الهروب» le livre des fuites ، مثلا. هل تغير شيء في طريقة كتابك؟

■ عندما كنت تتكلم ، قبل قليل ، عن الشواطئ ، تذكرت الطريقة التي كتبت بها كتابي الأول «المحضر» le procès- verbal. أجد من الضروري الحديث قليلا عن الكتب التي سبقته...

وأنا أكتب على الشواطئ ، إنَّ ما كنت أبحث عنه في العمق ـ ونجحت في العثور عليه فيما بعد ـ هوذلك اللقاء مع العالم الواقعي ، العالم الطبيعي. عندما نعيش في المدينة ـ كنت في تلك الفترة أعيش في «نيس» Nice دون أن أغادرها ، وقد كانت عبارة عن تجمع سكاني ، و«نيس» ليست مدينة صغيرة. عندما تعيش إذن في مدينة مثل هذه ، تكون الوسيلة الوحيدة للهروب من العالم الحضري هي الذهاب إلى الشاطئ. الشيء الذي يعني الكتابة على هذا الشاطئ والحديث عنه وعن البحر ، مادام الأمر ممكنا في «نيس». ولوكنت أسكن باريس ، أظن أنني سأمشي فوق الأرصفة ، فأرى جريان نهر «السين» SEINE ، وكل ما يجرفه. يكون لنا فعلا الإحساس بالهروب من عالم المدينة. منذ البداية ، ونحن نتحدث عن المدينة كنت أحب النظر إلى الغيوم ، وإلى السماء والبحر ، ولا أعتقد أني تغيرت. ربما أصبحت مقلا في الكتابة عن المدينة ، لأنني بالضبط كتبت عنها كثيرا. فقلت في نفسي هذا يكفي لحد الآن. غير أني لا أشعر أنني مختلف جذريا. أعتقد أنني أصبحت أحب كثيرا العالم الطبيعي ، أصبحت أحب السير. إن السير هوالنشاط الوحيد الطبيعي في الإنسان. ودون أن نتحدث عن البعد الرياضي ، فإن السير نشاط يحرك كل العضلات. أما في حالة السير في المدينة ؛ فإن العقل هوالذي يعمل ، إضافة إلى العضلات. فأنت تراقب السيارات... التي نحن طريدتها بمعنى ما! السير نشاط جسدي قوي ، أعتقد أنني مازلت أحتفظ بذلك من وجهة النظر هذه. أظن أننا كلما تقدمنا في السن أصبحنا ندقق في بعض الأشياء. أحيانا نضطر

Twitter: @ketab_n

إلى التغير أو التعود بسبب النقد الذي نتلقاه ، أوبعض الملاحظات ، أو حتى بسبب شتيمة تلقيتها ، أوفقط لأنك وضعت في مكانك. غير أنني مقتنع أنني بقيت وفيا لذاتي. لا أظن أنني تغيرت كثيرا.

□ **هذا شيء ملفت للنظر. أنت تعرف القول المأثور القديم : الكاتب ، بمعنى ما ، يكتب كتابا واحدا ، يبقى يكرره تحت أشكال مختلفة . وأنت إلى حد ما ، برهان على العكس . فإذا كان هناك أسلوب لوكلوزيو ، كتابة لوكلوزيو ، لون لوكلوزيو ، هناك أيضا ذلك التطور ، رغم صعوبة تحديد معالمه ، وربما من الصعب تحديد حتى علله.**

■ تمنيت لو تحدثنا قليلا عن الكتب التي كتبتها قبل أن أبدأ في النشر...

□ **تقصد رواية «المحضر» Le Procès verbal؟**

■ نعم ، قبل رواية «المحضر». وأنا في سن السابعة كتبت نصا رحليا. أحب الأسفار كثيرا. بعد ذلك ، كتبت حكاية تدور أحداثها بين النوارس حيث لا وجود لإنسان. كان كتابا بيئيا ! أستطيع اليوم أن أتصور كل ما كان ينشّط ذلك. ثم كتبت رواية مغامرات تدور أحداثها في الهند. بحثت عن المكان الذي يهطل فيه المطر بشدة في العالم ، فوجدته: اسمه «شارايوندجي» charpundji ، ويقع في البنجاب. هناك نجد أقوى السرعات في العالم. تليها «كيبدو» Quibdo في كولومبيا. ابتدعت حكاية انطلاقا من ذلك: المكان الذي يهطل فيه المطر كثيرا في العالم. هنا توجد رواية مغامرات مكتملة. كل تلك الكتب التي كتبت بين سن السابعة والثانية والعشرون ، كانت مختلفة عن بعضها لكنني أتصور أنكم ستجدون بينها نقاطاً مشتركة.

□ **تلك النصوص التي تخليت عن فكرة نشرها ، هل كانت عبارة عن مقالات؟**

■ كانت هناك مقالات ، من ضمنها مقالة حول الانتقال من مرحلة ما قبل

Twitter: @ketab_n

التاريخ إلى المرحلة التاريخية. كنت أبلغ أربع أوخمس سنوات. هذا هوالعمر الذي نكتشف فيه مثل هذه الأشياء. كنت ، في أعماقي ، أعتبر الكتب مثل منارات تضيء المسافات. فيما بعد ، عندما نلتفت إلى الوراء ، نقول لأنفسنا: «آه نعم ، هذا هوالاتجاه». لكننا عندما نتقدم ، ونضع معالم الطريق ، لا نعرف كثيرا عن توجهنا. فنحن على الأقل نترك أثرا ، لا نعرف ما إذا كان ذلك يدل عـلى شيء أم لا ، ما إذا كـانت عودة من أجل لاشيء أو إذا كنا ، عكس ذلك ، قد تقهقرنا. إنه أمر من الصعب معرفته. هنا يكون للآخرين دور حاسم. فأن تكتب دون أن يقرأك أحد ، أمر محبط جدا ، وصعب جدا. أعتقد أن الكاتب يحتاج إلى قرّاء يقولون له :«آه نعم ، لقد أحببنا هذا الجزء ، وليس الكل». أن يقولوا له أي شيء ، المهم أن يقولوا شيئا.

□ **كيف تتخيل قارئك؟**

■ حسنا ، مثلك أنت !

□ **قرأت في مكان ما ، أعتقد في تحقيق قامت به جامعة «نيس» Nice ، عن الكاتب والمجتمع ، حيث أجبت بأنك لا تتخيل قارئك مختلفا عنك.**

■ نعم ، هذا هوقارئي في العمق ، لا أتخيله مختلفا عني ، أجد صعوبات في تسميته. عندما أكتب لا أفكر فيه أبدا. هذا ربما ما قصدته في التحقيق.

□ **هل يحدث أن تمارس الرسم في رواياتك. الرسم ولع قديم لديك؟**

■ نعم ، رغم ذلك لم أنجح في الرسم. كنت أرغب في أن أكون رسام الأشرطة المصورة. هذا ما كان يعجبني في الحقيقة. لأن في الشريط المصور يوجد الأدب ، الكلمات. إذن يمكنك أن تقول أشياء بشكل جيد في تلك الدوائر المرسومة. إضافة إلى وجود الرسم ، الذي يسمح لك بالهروب إلى الكلمات كلما رغبت في ذلك. إنه انصهار حقيقي. أعتقد أن الفنون التي تحقق انصهارا بين عنصرين أو ثلاثة هي فنون مكتملة.

Twitter: @ketab_n

□ ماذا كانت تشبه شرائطك المصورة؟

■ كانت متأثرة جدا بـ «هيرجي» Hergé ، الذي كان سائدا آنذاك . كان هناك أيضا شيء من بيي ـ نيكولي «Pieds-Nickelés» ، لأنني كنت أحبه...كان القليل من كل شيء . تأثرت أيضا بجريدة إنجليزية كنت مشتركا فيها ، في تلك المرحلة ، اسمها Eagle. كنت مدفوعا إلى أن أصبح إنجليزي الميول. لقد كانت الأشرطة المصورة الإنجليزية مختلفة جدا ، كانت واقعية. باختصار ، بالنسبة إلي كانت الأشرطة المصورة ضرورية إلى حدود السابعة عشر والثامنة عشر ، حيث كان عندي وهم أنني سأصبح مبدع أشرطة مصورة. كنت أطلع زملائي عليها ، كانوا هم جمهوري. إنه أمر غريب ، عندما أفكر فيه اليوم ، أجد أنني كنت ضعيفا في دراستي ، ولم أكن متفوقا في أي شيء. فإذا كان لي مكان في الثانوية ، وإذا لم أكن موضع تجاهُل من طرف الآخرين ، فذلك بفضل الأشرطة المصورة. لقد سمحت لي بإيجاد مكان لي ، كالذين كانوا يلعبون بالكريات ، أو الذين كان لهم آباء يملكون سيارات فخمة ، أو أي شيء آخر...لا بد أن نجد لنا مكانا ، أما أنا فقد وجدت هذه المكانة المؤقتة ، وذلك كان يعجبني كثيرا ، غير أن طاقاتي كرسام لم تكن كافية. أظن أنني لم أكن تماما في المستوى. فابتلعَ اللعبُ بالكريات الرسمَ ، للأسف. غير أنني في الأخير كتبت الروايات.

□ لماذا قلت للأسف؟

■ نعم. أعتقد أن لحظات السعادة التي عشتها حقا ، كانت عندما رسمت شريطا مصورا أعجبني وأعجب الآخرين. صحيح أنني اليوم ، ربما ، أحكم على ذلك بأنه غير كاف. فنحن نصبح أكثر صرامة...

□ لن تقول بعد هذا إنك تفضل اليوم أن تكون رسام أشرطة مصورة شهيرا !

■ لا يتعلق الأمر بالشهرة. ما كنت أحبه هو تلك الوحدة الشعورية التي كانت

Twitter: @ketab_n

تجمع ، في تلك الفترة ، بين التلاميذ في القسم عندما كنت أوزع عليهم أشرطتي المصورة. أظن أنه لم يكن لي جمهورا ذكيا إلا في تلك اللحظة. جمهوراً كنت أتقاسم معه أشياء معينة. ربما لأنه ، بكل بساطة ، كان أمامي وأستطيع أن أتكلم معه. إن مأساة الكتّاب ربما كامنة في أنهم يكتبون في عزلة عن القراء. يمكن أن يتلقوا رسائل ، بكل تأكيد ، لكنها تبقى علاقات بعيدة جدا.

□ **عندما تكون بصدد العمل على مخطوط ما ، كيف تعود إليك تلك الرغبة القديمة التي تدفعك إلى التخلي عن الكتابة ، وأنت في منتصف الصفحة ، والانتقال إلى الرسم؟**

■ إنني أخربش في المخطوطات.لا أنجح في احترام بياض الصفحة. بعض مخطوطاتي عبارة عن رسومات مخيفة. مليئة بالخربشات. وأحيانا تتملكني الرغبة في رسم شخصياتي...وإلا لن أستطيع رؤيتها وهي تحيا.

□ **عندما نشرت «المحاكمة» le procès verbal سنة 1963 ،كنت في الثالثة والعشرين من عمرك ، وفزت بجائزة «رونودو» Renaudot. لقد تمكنت بسرعة من «إيجاد مكانك» ، مستعيراً عبارتك.**

■ تلك الجائزة الأدبية كانت حظا كبيرا بالنسبة لي. مكّنتني من أن أعيش من قلمي ، الشيء الذي ليس بالسهل. وإذن ذلك يعني اجتناب بعض ضرورات الحياة ، مثل عدم الاضطرار لمزاولة التدريس ، أوالقيام بأي شيء آخر...لم يكن التدريس مثلا ليغيظني ، لكن...

□ **ومع ذلك ، مارستَ التدريس؟**

■ نعم ، لقد درّست في بعض الأحيان.لكن كان يمكن أن أضطر إلى العمل كوسيط ، أو أي شيء آخر مماثل ، لم أحبه ، أو أن أعمل موظفا في بنك. لقد

Twitter: @ketab_n

مكنتني الجائزة بأن أقوم بما أرغب فيه ، أن أكرس وقتي للكتابة وللرسم ، كنت مازلت أرسم ! دون أن أفكر في الغد. لقد كان ذلك بمثابة حظ كبير ، نعم. لكنني لا أعتقد أن بإمكاننا إيجاد مكاننا بفضل جائزة أدبية. ذلك شيء آخر. هناك غموض في الجوائز. هذا شيء معروف. أي أن الجائزة لن تحل مشكلة عزلة الكاتب. ليس ذلك ما يمكّنه من إقامة تواصل حقيقي.

□ **مرت خمس وعشرون سنة على ذلك.**

■ نعم مرت خمس وعشرون سنة !

□ **هل كان لك الإحساس ، طيلة هذه السنوات ، بأنك عبّرت باعتبارك كاتبا عن كل ما أردت التعبير عنه؟ هل صورتك ـ الصورة التي كونّاها اليوم عنك ـ تلائمك جيدا؟**

■ أتمنى أن يكون الجواب: لا. إنه أمر مرعب أن نفكر في أن لنا صورة مثل هذه .خمس وعشرون سنة زمن طويل...عندما نضيف خمس وعشرون سنة أخرى نكون أمام عمر حصان. إنه زمن طويل. لكن ليس لدي الإحساس بأن شيئا ما كبر في ، أو شاخ ، أو حتى خذلني. في العمق ، أعتقد أنني لم أفكر أبدا في الموضوع. لقد مرت الأمور هكذا ، ربما بالضبط لأنه لم تكن لي هذه الهموم المادية. أن أعيش بقلمي ، هذا شيء جيد. بهذا القدر أوذاك ، أظن أنني لم أشعر بتراكم ثقل السنوات. لم أشعر بها كتجربة مرعبة ، أو مأساوية ، أو مُرَّة.

□ **تتحدث عن المرارة ، هذا الإحساس الذي لم تكابده. إلا أنه ، للعودة إلى الدوار الذي ينتج عن الهروب ، وللعودة أيضا إلى عنوان كتابك «كتاب الهروب» le livre des fuites الذي هو ، كما أعتقد ، الوحيد من بين كتبك الذي يحمل عنوانا فرعيا «رواية مغامرة» ، وذلك للوقوف على الدرجة التي تشكل فيها**

Twitter: @ketab_n

المغامرة والهروب عنصرين مهمين ـ هناك إجمالا ، طيلة خمسة وعشرون سنة ، هناك العديد من الكتب التي تعطي إحساسا بالهروب.

■ كلّمتك قبل قليل عن المعالم. أعتقد أنه مسار لم يكن سهلا على الإطلاق. لكن ربما عندما نتقدم ، في أي شيء ، تكون لدينا الرغبة في ضمان عودته. اعتقدت لزمن طويل أنه ستكون لي القدرة على صنع شيء هوفي العمق خدعة ، أي القيام بدورة كاملة ، حلقة حقيقية ، ثم أعود إلى نقطة البداية. فأدركت أن الأمر سيكون صعبا ، وبأنني لن أتوصل إلى القيام بذلك ، ولن أستطيع كتابة كل الكتب التي كتبتها من قبل ، ثم أغير شيئا ما لكي أعود إلى نقطة البداية ـ التي هي بالنسبة لي سفرا طويلا ـ إلى كتابي الأول. لا أعتقد أنني سأتمكن من القيام بذلك. أولا لا أعتقد أن لي الوقت لذلك. لا أظن أن الوقت الذي أعيشه سيسمح . ثم إنني أؤمن بأن كل شيء محدد بشكل مبكر. لكن ما أريد قوله هوأن الكتب التي نكتبها ، مثل كل شيء نقوم به ، تكون بفكرة عودة محتملة . أما الهرب فيكون بهدف اللاعودة. هناك كتّاب توصلوا إلى ذلك. «رامبو» مثلا توصل إلى هذه المرحلة بنجاح. يكون عندي بالإحساس أحيانا ، أننا عندما نخلّف كتبا فذلك عبر فكرة أننا سنعود إلى الوراء ، أننا سنعثر على أنفسنا وعلى نقطة بدايتنا ، أوأننا سنعود إلى بلدنا الأصلي. أوأي شيء من هذا القبيل.

□ **في كل الحالات هناك عنصر يقف في صالح ماتقول : في البداية كان لك هاجس الانصهار في المادة ، وقد استمر في الظهور ، إلى درجة أنه أصبح هاجس أن تصبح الكتابة مادة بذاتها ، أليس كذلك؟**

■ نعم. ربما سأضيف هاجس العودة إلى كتبي الأولى التي لا فرق فيها بين الكتابة والحياة. عندما أفكر في الأمر ، أجد أن هناك شيئا ما لم يظهر حينها ، والذي هورغم ذلك شيء غريب. عندما كنت في السابعة من

Twitter: @ketab_n

عمري ، سافرت لمدة ثلاثة أشهر ، على متن باخرة ، متجهة إلى إفريقيا وكنت أكتب كتابا حمل عنوان «سفر طويل» un long voyage تحدثت فيه عن شخص يسافر إلى إفريقيا ، لكنه كان شخصا آخر.

□ **إنه «ريموند روسل» Raymond Roussel ، أليس كذلك؟**

■ نعم . أظن أن ريموند روسل هوالكاتب المثالي. أشعر بأنه نجح في القيام بتجربة تتطلب القوة في أن تكون مزدوجا ومتناغما في الآن ذاته . إنه أمر مدهش.

□ **ستكون ضمن كتاب السفر ـ وأنت قمت بالعديد من الأسفار ـ الذين يتروون ولا يهبطون الأدراج؟**

■ لا ، ليس الآن. غير أنني وأنا في السابعة من عمري ، لم أكن أفهم أنني أقوم فعليا بهذا السفر. كان مهما بالنسبة لي أن أكتبه على أن أعيشه. كما لوأنني ، وأنا سعيد بالقيام بذلك ، لم أكن واعيا بشكل كاف ، أوكأن شيئا سيهرب مني . الحقيقة أن في كتاب «سفر طويل» لن تصل الباخرة إلى النهاية. لقد رفعها حوت ضخم ، فتطايرت بها الريح. طبعا هذه التجربة لم تحدث معي ، لكنني كنت أرغب في وقوع شيء ما. لقد كانت الأسفار طويلة جدا ، في تلك المرحلة خصوصا على طول الساحل الإفريقي . لقد أخذنا حمّاما منحدرا ، كان مسليا ، رغم ذلك. كان ثقيلا جدا. لم نر السواحل إلا عبر الضباب ، الجوكان حارا جدا. لم تبحر الباخرة حتى الشاطئ ، لا يوجد ميناء. وللوصول إلى الأرض لا بد من ركوب زورق. كل ذلك كان يساعد على التخيل. تخيل أننا نعيش تجربة كثيفة وحارقة كان أسهل من عيشة داخل فتور ضجيج مروحة التهوية.

□ **الخيال الخالص ، هذا تقريبا هو«لوكلوزيو».**

■ الخيال هو جَنَّة الكتّاب.

Twitter: @ketab_n

□ ذات يوم ، لا أعرف هل تتذكر ذلك أم لا ، أجبت على تحقيق حول هذا الموضوع: «ما الذي يغذي عملك ككاتب؟» ، فأعطيت هذا الاقتضاب المدهش ، وهوعبارة عن وصفة: بالنسبة إليك يتكون هذا العمل من 80% من الخيال الخالص ، 10% من التجربة الشخصية ، 2% من تذكر القراءات ،0,5% من اللجوء المعقد إلى الموضوعات التقليدية ، 6% من الأخبار المتفرقة والعناصر اليومية ، و1,5% من المعضلات الكبرى في العصر.

■ لا أتذكر كل هذا ، لكن الوصفة تبدو لي جيدة ، واليوم إني أسحب حصة ما لأضيف الذاكرة الشخصية. يبدو لي أنه يجب إعطاء الأهمية للذاكرة على الخيال. عندما نشيخ تنقص حصة الخيال لصالح الذاكرة التي تصبح مليئة شيئا فشيئا.

□ صيغة أخرى أثارت انتباهي كثيرا. وذلك في ألNRF ، منذ بضع سنوات ، إذ كتبت مايلي: «إن صناعة الأواني أو الأنسجة أو السلال أو فقط العيش وفق الأنظمة الزراعية ، أي الإنتاج وليس التمثيل ، هذا ما يمكن أن يقوم به الكاتب بواسطة الكلمات ، إن كان يملك هذه الكلمات». ما يفاجئنني في هذه الجملة هو«أي الإنتاج وليس التمثيل». أنت تعطي الانطباع أنك ، ككاتب ، تصنع شيئا ما انطلاقا من حدث واقعي ، وليس فقط تحديد حقيقة خارجية بواسطة الكلمات؟

■ أعتقد أننا لمسنا شيئا مهما في الواقع. إنه الطفل في مقصورة السفينة ، فهوينتج ويفسر.

□ أليس في حاجة إلى النظر عبر نافذة السفينة؟

■ أعتقد أنني لن أتغير إطلاقا بخصوص هذه النقطة. أعتقد أن خاصية الرواية ليست إعطاء حقيقة معادة التركيب بهذا الشكل أوذاك. الأمر شبيه بالرقص إلى حد ما. عندما نرى أشخاصا يرقصون ، نُشد إليهم بقوة ، خصوصا

Twitter: @ketab_n

إذا كنا جالسين ، الأمر يحدث «تنملا في الركب» كما نقول. هناك شيئا ما؟ يُحْبَك ولا نستطيع التعبير عنه بغير الحركة. عندما نحلل الرقص ، أوعندما نصوره ، نبقى خارجه. بينما قراءة كتاب تعطي ، أحيانا ، الشعور بالدخول في الرقص. هناك حركات تقوم بها الكلمات واللغة. هنالك إيقاع. وعندما يتم الأمر بطريقة جيدة نشعر باتصال جميل بين المهارة والاستيحاء. إذن فالرغبة في القيام برد الفعل لا يمكن مقاومتها. هناك العديد من الكتب على هذا النحو.

□ **هذا نوع من الصناعة الحرفية أيضا.**

■ على كل حال ، الفن هوشكل من الصناعة الحرفية. لكنه أيضا أكثر أصالة من الكتابة. قرأت منذ مدة قصيرة كتابا لـ«كلود ليفي ـ ستراوس» Claude Lévi-Strauss يقارن فيه بين بنية الأساطير وبين الترقيع bricolage. يقول إجمالا : هناك نقطة يتشابه فيها كثيرا الإنسان الحديث والإنسان البدائي الذي خلق الأساطير : حب الترقيع. وأنا أعتقد أن الكتابة نوع من الترقيع. الكاتب مرقّع كلمـات. مع كل تلك النسب التي تحدثنا عنها قبل قليل : 96% زائد 1.5% إلخ ...هنـاك أيضا الذوق ، الذي نسيت ذكره. يجب أن نضيف الـذوق ، الذي يجعل كل ذلك يلتحم ببعض.لأن الخيال بدون التذكر ، وبدون القراءات ، وبدون العلاقة مع الآخرين ، لا يمكن أن يستقيم. لا بد من شيء ما ، من صمغ قوي حتى يتماسك كل ذلك.

□ **يقدم لنا «ليفي ـ ستراوس» تلك الحلقة الوسطى الطبيعية التي تربطنا بالحضارات الهندية. مع أنه ، كما أتصور ، يكره الأسفار والمستكشفين حسب عباراته الشهيرة...**

■ لقد قال ذلك ، لكنها ربما ليست إلا مزحة. لا. إنَّ ما يكرهه ، وقد عبّر

Twitter: @ketab_n

عنه بوضـوح ، هـي تلك الرحـلات المنظمـة : السفـر «مـن أجل تغيير العادات» ، السفر باعتباره تسلية ولهوا. وأنا في ذلك أتفهمه جيدا ...إضافة إلى أن الأسفار تصبح صعبة يوما بعد يوم. أعرف أنك تحب الطائرات ، لكن عليـك أن تعترف أن الطـائرات الكبيرة ليست ممتعة. السفن ، السفن الكبيرة ، كانت جميلة وممتعة ، بينما الطائرات ، والحاملات الكبرى التي نراها اليوم ، حيث يتكدس فيها الناس ، ولا يرون شيئا...إنه أمر صعب أن تكون في السماء ، ولا ترى شيئا...

□ **ورغم ذلك ، فقد كتبت صفحات جميلة عن الطائرات.**

■ نعم ، لكني كتبت عن تلك الطائرات التي نرى منها طيراننا .أحب كثيرا الطائرات ، خصوصا الطائرات الصغيرة. ربما ابتعدنا عن الموضوع .أحب تلك الطائرات التي يكون فيها اتصال جسدي بالهواء. أول مرة ركبت طائرة مثل هذه ،أتذكر ذلك ،كنت متجها إلى «باناما» panama . كان الربان شبيها بسكان الأدغال ، مغامر جسور ، قلت له: «ماذا يحدث إذا ما توقف المحرك؟» لم يجبني ولكنه أوقف المحرك. لقد كانت تجربة مدهشة ، والطائرة استمرت في الطيران. غير أن طيرانها كان ينقص شيئا فشيئا ! ثم جاءت اللحظة التي شعرنا فيها أننا نسقط. بعد ذلك شغل المحرك. هذا أفضل جواب. في تلك اللحظة أحسسنا فعلا بالهواء. لا نحس به في الطائرات والحاملات الكبرى.

Twitter: @ketab_n

2
الحلم المكسيكي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

□ **نشرت «الحلم المكسيكي» le rêve mexicain ، وهوكتاب مليء بالسحر والذهب ، أقول أيضا مليء بدم حضارة انقرضت ، حضارة «الأزتيك» Aztèques ، لماذا هذا الانجذاب نحو هذه الحضارة؟**

■ أعتقد أن المكسيك أغرتني عندما كنت في التاسعة أوالعاشرة من عمري. لقد أَهديت سلسلة لم يعد لها وجود عنوانها «كنوز الأرض» les trésors de la terre ، أوشيئا من هذا القبيل. كان كتابا عن «الأزتيك». اندهشت على التو بأشكال الإبداعات الفنية التي كانت مصممة بشكل جيد وأحيانا كانت قوية جدا ، وحتى عنيفة ، في بعض الأحيان. أتذكر أنني تأثرت بقوة برسومات وصور ذلك الكتاب. فيما بعد ، قرأت التعليق ، النزوي شيئا ما ، الذي قدم الحضارة الأزتيكية كما لوأنها تأسست من طرف النمل. أتذكر ذلك جيدا. لا أعرف بالضبط كيف (فقدت الكتاب منذئذ) لكنه تضمن تفسيرا جديا حول تلك الحلقة التي كانت في أنوف التماثيل ، والتي ما هي إلا حبة غذاء في فك النمل. أتذكر تلك العلاقة بين الأزتيك وبين النمل.

□ **هناك شيء يحيرني. هذه الحضارة القصيرة العمر والعظيمة التي أعلت من**

Twitter: @ketab_n

شأن الفن والرقص والدين والشعر ـ أعتقد أن الأزتيك كانوا يسمون الشعر «القول المزهر» ـ والغناء أيضا. كانت رغم ذلك حضارة فظة ، تعطي أهمية للحرب بل وتلّقنها لأطفالها. إنها حضارة كانت تمارس التضحية بالإنسان وطقوسا تعصبية أخرى ، الشيء الذي قسم المجتمع إلى طبقات مغلقة وعنيدة...

■ إنها حضارة لها سلبياتها وإيجابياتها. فيما يخص الحرب ، أعتقد أن الأزتيك كانوا أقل وحشية من الكثير من الشعوب التي جاءت بعدهم. فحروب الأزتيك كانت لاشيء أمام الحروب التي شهدناها فيما بعد. في كل الحالات لم تكن فظاظة الأزتيك شيئا كبيرا مقارنة مع تعامل الأسبان مع الأزتيك أنفسهم ، إذا ما أردنا إجراء مقارنات في هذا المجال. إنها حضارة متناقضة ، وربما هذا ما أيقظ فضولي. حضارة فيها فائض من القسوة ، ولكنها كانت ، عندما كنت طفلا ـ وهذا يزداد وضوحا كلما اكتشفت أكثر تاريخ العالم ـ تترجم لي نوعا من التناغم ـ رغم أنه يظهر من الصعب الحديث عن التناغم في حضور أحاسيس متناقضة ـ إنها حضارة إنسان عند اكتماله.

لقد كان مجتمعا لا يكتم قسوته. كان يدعها تظهر في واضحة النهار. وهذه القسوة ، التي هي ضرورية ، أقول إنها ملازمة لكل حركة اجتماعية ، فتتصاعد في التضحيات ، والرقصات. وهنا نجد جانبا مسرحيا ، وبكل تأكيد ، هذا ما أعجب «أرتو» Artaud في المكسيك . يبدوكما لوأن هذا المجتمع عثر على التوازن بين الوحشي والجميل ، بين الناعم والحاد.أنا أجده مجتمعا مثاليا ، مادام أنه نجح في التوفيق بين الغرائز ، والأحاسيس المتناقضة. وقد سمح له كل ذلك في العيش داخل توازن حقيقي. ولكنه عندما انقرض كان قد اكتسب طابعا رائعا. لقد تحدثت قبل قليل عن

Twitter: @ketab_n

الحضارة العابرة. غير أنها عابرة لأن هناك من قطع رأسها. لقد كانت حضارة في أوج نموها وتفتحها ، لقد كانت في طريق اختراع شيء ما. شيء إضافي ، بدون شك ، له جانب باروكي إلى حد ما شبيه بما عرفناه تحديدا في المجتمعات الشرقية في المرحلة الآشورية. شيء ما بدائي جدا ، بمعنى من المعاني ، لكنه أيضا مرهف ومتقدم جدا. وهذا المجتمع ، الذي لا يمكن ألاّ يدفعك إلى الحلم ـ لأننا نحلم بإمبراطوريات مثله ، نحلم بالإمبراطورية الآشورية ، الأوروكية ، أوالمصرية ـ ذلك المجتمع اختفى فجأة ، فأصبح مجتمعا إعجازيا : إنها تحفة اختفت.

□ **هناك تناقض ما. أفكر في ماقاله «فاليري» Valéry: «نحن أيضا تعرف حضاراتنا أننا سنموت». وهذا ما كتبته أنت بنفسك ، المايا ، التولتيك ، التاراسك ، الأزتيك كانوا يعرفون ذلك أيضا. المشترك بينهم أنهم كانوا يعيشون في انتظار وبهاجس الكارثة ، كما كتبت.**

■ وهذا ما ساعد على انقراضهم لكن ، في نفس الوقت ، هذا ما ساعد على استمرارهم على قيد الحياة. لقد استطاعت تلك المجتمعات أن تترك أثرا. ولأنهم تنبئوا بكل شيء ، فقد تنبئوا باختفائهم. لقد اتخذوا احتياطاتهم حتى يستمروا بعد انقراضهم.

أفكر في المايا ، مثلا ، الذين في كل قرن ـ أي بالنسبة لهم كل عشرين سنة ـ كانوا يضعون نصبا حتى نعرف أنهم عاشوا هنا. وتلك النصب لم تكن موجهة إلا للناجين المحتملين. لم تكن تحتوي سوى على تواريخ. وحتى فوق جسور باريس تقرأ أحيانا : «إينتيل مر من هنا سنة 1958». وبعيدا عن النقوش الأثرية الضخمة ، هناك أشخاص لهم هاجس أن يخلّفوا أثرا عن عبورهم. إذن ، فهذه الحضارات كانت تتنبأ بنهايتها ، فكانت تترك آثارا حتى نعرف أنها وجدت.

Twitter: @ketab_n

وإنـه شيء عجيب أن تتخيـل مجتمعـات فيهـا كل المعارف ـ أي علم الفلك ، الحساب ، الرياضيات..إلخ ـ كانت نهايتها هي تلك الآثار التي تركتها للأحياء المحتملين. لنفترض اليوم أن كل الأنشطة الإنسانية ، في أوروبا وفي كل العالم الغربي ، كانت نهايتها بعض الآثار ، فنقول في كل مكان : «سنقوم بجرد لكل ما تركناه ، خصوصا أننا سنحدد أن في سنة 1988 كنا هنا ، في باريس...» سيكون أمرا مدهشا لكن لا أحد فكر فيه ، وأنا على خلاف «فاليري» valéry ، فالمجتمع الغربي يجهل تماما أنه سيزول. إنه يخاف من موته. وتحديدا بسبب هذا الخوف فإنه يخاطر بأن يزول دون أن يترك أدنى أثر ، مثلما أنه لا يتوقع أن يترك شهادة حقيقية. إنّ ما سيتركه سيكون مطلسما.

□ **وهل الكاتب هوذلك الشخص الذي أيضا له هاجس أن يترك أثرا؟**

■ أظن أن الكاتب يتبع طريقا دائريا. إنه على تلك الطريق التي تدور ، هو يتجه نحو نهايته ، نحونهاية ما يقوم به ، يضطر إلى أن يعثر من جديد على ما بدأه بطريقة تجعله يضع شيئا متناغما ، إلى درجة أنه هونفسه يشعر بهذا التناغم. بعض الكتّاب يتوصلون إلى إغلاق الحلقة قبل كتّاب آخرين.

□ **هل تنوي إغلاقها ذات يوم؟**

■ ربما نعم. لا أعرف بعد...لا أظن أنني وصلت تلك النقطة. يجب أن يكـون ذلك الإحسـاس مخيفـا ومحبطا. أفكر في «خوان رولفو» Juan Rulfo ، مثلا ، الذي أنهى عمله في كتابين ، وفي آخرين ، مثل الكاتب اليهودي الأمريكي «هنري روث» Henry Roth ، الذي كتب كتابا واحدا في حياته ، وبذلك أغلق حلقته بكتاب واحد. إنه شيء رائع. إنه مدهش ومؤثر بالنسبة للآخرين .. غير أنه بالنسبة له سيكون امتحانا قاسيا جدا.

Twitter: @ketab_n

□ **ألا نقوم بإغلاق أحيانا حلقة شخص آخر؟ مثلا، حتى نعود إلى المكسيك، لقد ذكرت قبل قليل «أنتونان أرتو» Antonin Artaud الذي هاجر إلى المكسيك فأصبح أسطورة أدبية، وقد خصصت له فصلا كاملا في «الحلم المكسيكي» le rêve mexicain حيث تحدثت طبعا عن «أرتو»، وعن سنة 1936، وعن فقدانه للأمل الذي دفعه على الهروب من أوروبا والهجرة إلى المكسيك. أعرف جيدا أن الأمر يتعلق بدراسة، لكنني تساءلت أحيانا: ألم تكن تتحدث عن نفسك؟**

■ لا، ليس تماما. لكننا مع «أرتو» نكون أمام شخص حاد جدا، قوي جدا لا يمكن أن نكون في مستواه. ورغم أننا نحب ما يكتب فنحن لسنا متأكدين من فهم كل ما يقول. ما نقوم به هوالتأويل. صحيح، كما قال «بروتون» Breton، كان «أرتو» رمزا. إنه شخص مَهَّدَ الطريق وكشف عن مجالات تبدو اليوم مسلّم بها، لكنها كانت بالأمس جديدة. لقد كان مثالا للسريالية خارج كل جماعة أومدرسة. لقد بَيَّنَ أن المكسيك ليس أرضا للفولكلور، وليس أرضا تعيسة، بل بالعكس، هو فضاء له ثقافة عالية. في سنة 1936 كنا نجهل ،وهذا شيء مدهش، كليا الثقافات الأمريكوهندية...

□ **لكن، أليست دوافعك لا تشبه حتما دوافع «أرتو» عندما غادر أوروبا؟**

■ لا، هروبه لا يشبه هروبي.

□ **هذا شيء واضح. لم تكن لك مغامرة مع السريالية. لم تكن مطرودا من جماعة معينة. لكن ربما تملك رؤية معينة لتشرذم الثقافة الأوروبية، أحاول أن أؤجل ما أمكن نطق كلمة انحطاط...**

■ صحيح أنه لا يمكن التشبه بـ«أرتو»عندما جاء من أوروبا إلى المكسيك. على الأقل في حالة البحث عن شيء ما في المكسيك. لأن ما نبحث عنه هو عكس ما نجده في أوروبا, أي شيء ما أكثر التهابا، أكثر قوة. تحدثنا، قبل

Twitter: @ketab_n

قليل ، عن «الأزتيك» ، وهذا ما أردت قوله. ما أستشفه في تلك الحضارة هوعالم أكثر قوة وأكثر انتقادا من عالم النهضة الأوروبية.عالم لم يُبْنَ على العقل ، ولا على الأفكار الإنسانية الكبرى ، التي تتناقض مع نفسها باستمرار. بل بُني على أشياء أخرى.عالم يستمد حيويته بهذا الرقص ، وهذا الاندفاع نحو السحر ، والفرق الطبيعي المبني على تصور مختلف ، تصور يدرك العالم بالحدس.

هذا ما كان يبحث عنه «أرتو» في المكسيك. لست متأكدا أنه وجده ، لأن المكسيك لا يعطي حلولا ، هكذا ، بسهولة.لكن بكل تأكيد ذلك هوما ذهب الناس يبحثون عنه في المكسيك بعد «أرتو». وهذا ما يعطي تماثلا مع «أرتو». في حالتي أنا ، هذا شيء صحيح .

□ **أتصور أن أصل أسباب إقامتك المتعددة في المكسيك ، هو وجود آثار لحضور هذه الحضارة المنسية ...**

■ عندما وصلت إلى المكسيك ، أول نص قرأته هو les trahumaras «لأرتو». إنه أول نص قرأته عن المكسيك بعيدا عن الكتاب الذي حدثتك عنه . وقد كان نصا نزويا إلى حد ما . أول نص أدهشني وأثَّر فيَّ هو هذا. وانطلاقا من كتاب «أرتو» هذا رغبت في معرفة ما هي المكسيك ، فبدأت أقرأ المؤرخين.قرأت كل الذين كانوا شهودا عن ماذا كان هذا العالم عند مجيء الإنسان ...

□ **«دييز ديل كاستيو» مثلا...**

■ نعم ، «دييز ديل كاستيو» ، هذا الجندي الأمي الذي رافق «كورتيس» cortes والذي غمرته العواطف في سن الرابعة والثمانين ، فشرع في تحرير «التاريخ الحقيقي لاكتشاف إسبانيا الجديدة» l'histoire véridique de la conquête de la nouvelle Espagne . إنه شيء خيالي . لقد كان أعمى

Twitter: @ketab_n

وأصم . منقطع تماما عن العالم ، فحاول إعادة النظر إلى ما كان عليه العالم الذي دخل إليه ، والذي دمّره الجنود الإسبان وقلبوا رأسه عقبا.

□ **كان أعمى وأصم وجاهل وكتب هذا الكتاب في الرابعة والثمانين؟ لا ينبغي فقدان الأمل !**

■ نعم ، هذا هوالدرس. على كل حال ، هذا يعطي لكتابه ، لشهادته ، ذلك البعد الخيالي واللاهب الذي ننتظره من المكسيك.

□ **إنه جهل لكنه جهل تابع رغم ذلك .من جهة أخرى أنت تؤكد كثيرا على الإذعان الأعمى ، الكلي ، الذي كان للأزتيك لكل ما هو إلهي.**

■ إذعان ، هذه كلمة سلبية إلى حد ما. إننا نتصور أناسا أذلاء...أعتقد أن الأمر كان مختلفا. ليس فقط عند الأزتيك بل أيضا عند هنود «ميشوهاكان» ، عند هنود «نايايريت» ، عند «المايا» ، باختصار عند الثقافات الأمريكوهندية في المكسيك ، حيث كان الدين يعتبر بمثابة قوة فردية ، فكل واحد كان مسؤولا عن عبادته للآلهة على طريقته ، وحتى على اختيارها.

فتقريبا كانت هناك آلهة بعدد الناس. فكل واحد كان يخلق لنفسه ألوهيته ويمارس طقسه كما يتصوره. كما أن الدين أيضا كان بمثابة قوة تماسك تساعد الأمة الأزتيكية أوأمة «المايا» على الوجود. لقد كان الدين واجبا مدنيا . هذه مقولة قوية جدا ، في النهاية ، في إطار المسؤولية الجماعية ودلالة الفرد. أعتقد أن هذه الحضارات قد خلقت هذا التوازن الذي لم تنجح الديانات المنزلة ، كالديانة المسيحية ، في امتلاكه. لقد كان هناك رجال دين (الإكليروس) ، وأعتقد أنه لم يكن هناك إكراه. أما كلمة إذعان فإنها قوية شيئا ما.

□ **أنت تعطي أهمية للإشارة بأن الخضوع للقوانين ، مثلا ، لم يكن نوعا من**

Twitter: @ketab_n

العبودية. ألا تختلف ربما عن بعض المؤرخين بخصوص هذا التفسير؟

■ فعلا. إن صورة المجتمع الأزتيكي هي، بشكل عام، صورة مجتمع يوجهه الطغاة الذين يمارسون سلطة الحرب. مثل آلهة الحرب إلى حد ما، في الصين، مع زيادة ذلك الجانب المرعب في التضحيات. غير أنني أعتقد أنها رؤية كاريكاتورية. لقد كان ذلك المجتمع في ذروة تطوره. كان يضم إثنيات مختلفة جدا تمتد على أرض شاسعة جدا، حوالي مساحة أوروبا. أعتقد أن هذا التوازن لم يكن ليدوم أكثر من جيل لولا أنه كان مؤسسا على الاستبداد. في حين أنه دام منذ ثلاثمائة سنة عند قدوم الإسبان.

□ **وتقول إنه كان قمة ازدهار العصر السحري؟**

■ نعم، قمة ازدهار العصر السحري مقارنة مع الخراب الذي جاء بعد مقدمة التكنولوجيا، وخصوصا مقارنة مع الاستغلال الاستعماري.

□ **لكن ماذا بقي اليوم، في المكسيك، من هذه السعادة وهذا السحر؟**

■ بعض الآثار.

□ **مثلا؟**

■ بعض طرق العيش، أقول، ذات الطابع الفرداني. ذلك النوع من التراجع عن الواقع. أعتقد أن الحياة في المكسيك، في القرية على الخصوص، تجعلنا نرى أن للناس نوعا من الإرتياب تجاه كل شيء يظهر أنه ضروري ومحتم والاستفادة، مثلا، هي على نحوما، لا تتم إلا من العمل، العمل المنظم المنتج. وبالتالي أنا أعتقد أنه من الخطأ أن نُرجع التخلف والفقر في المكسيك إلى هذا المظهر. أعتقد أن الفقر يأتي مما هو أبعد من ذلك، من صدمة الاستعمار، أي من سوء توزيع الثروات.

□ **لا يندرج الفقر، حسب رأيك، في قدر هذه الحياة؟**

■ ألا، أبدا. عند وصول الإسبان، كان المكسيك بلدا مزدهرا مثل أوروبا.

Twitter: @ketab_n

كان يعرف نفس مشاكل المجاعة والجفاف التي كانت تعرفها أوروبا، وليس أكثر. كنا في المستوى الاقتصادي نفسه. وما الاختلاف إلا اختلاف تقني. التقنية في المكسيك متقادمة. لكني أعتقد أن مايربط المكسيك القديم ـ ذلك المكسيك السحري ـ بالمكسيك الحديث، هو هذه الإمكانية للاستغراق في الحياة الواقعية، والأهم هو القبول، مثلا، بأن للأشجار أرواحا. عندما يتم زرع الذرة، وإذا ما كانت هناك شجرة في وسط الحقل، فإنه يتم اجتنابها، رغم أن ذلك مزعجا، لنترك الشجرة في حالها. المهم هو أن تبقى الشجرة في مكانها أفضل من ربح بعض فدان من الذرة.

□ **صحيح أن الثقافات الأمريكوهندية تتغذى من الأحلام، وتستثمر الخيال حتى أنه تمارسه في مزاولة التنجيم.**

■ لقد بقيت حصة الحلم قوية جدا، سواء عند «الإنكا» أوعند «الأزتيك». أعتقد أن كل المجتمعات الأمريكوهندية هي مطبوعة بإمكانية اللجوء إلى الحلم. فهي لا ترى أن الواقعي هوحل نهائي لكل المشاكل.

□ **أنت أيضا كاتب تلجأ إلى الحلم.**

■ نعم، هذا صحيح، أعتقد أننا عندما نكتب ـ وسأعود إلى ذلك الطفل، في مقصورته، في غمرة سفر لا يراه ـ فنحن نتزود، في الحصة الكبرى، بتذكر مبهم لأحلامنا.

□ **لكن لكي يكون الحلم غنيا، متناغما وساميا يلزمه وسيطا، وهذا الوسيط عند «الأزتيك» كان نوعا من المخدر المهلوس...**

■ أعتقد أنه، في حالة الكتّاب، لا يجب المبالغة. أظن أن أجمل الأحلام هو الحلم الذي لا فائدة منه، الحلم الذي نحلمه من أجل لاشيء. المهم هو أن نحلم، في السادسة صباحا، أننا كتبنا أجمل رواية في العالم، ثم نعود لننام،

Twitter: @ketab_n

وننسى الأمر. إنه شيء رائع أن ننسى فيما بعد. إن مثالية الكتابة بالنسبة لي هي الوصول إلى هذا الأمر. إنه شيء متناقض ، لكنه هكذا : الكتابة دون معرفة نقطة الوصول ، ونترك الأشياء تصنع نفسها ، دون خطة . وحتى المقالة ، فهي وضع لِجُمَل نرى كيف تنضاف إلى بعضها ، ثم نرى الصفحة ، مع كل البياضات التي تركتها الكتابة في كل مكان. لأن صفحة مكتوبة تكون مليئة بالبياضات ، وهذا أمر عجيب جدا. إنه أمر جيد ، أن ندع الخيط يزيغ.

□ **ورغم ذلك فأنا أتذكر أنك أجبت ذات مرة عن السؤال الشهير «لماذا تكتب؟» الذي طرحته في استفتاء مجلة «أدب»** littérature **، في زمن «أندري بريتون»** **André Breton** **وأجبت: «أكتب من أجل التأثير» ، حتى أنك كتبت كلمة «تأثير» بأحرف كبيرة.**

■ لكن التأثير لا يعني حتما أننا نعرف ما نفعل. فإذا كان الحلم يعني أن تكون نائما ، نعم ، بكل تأكيد ، يمكن أن نضع الحلم مقابل الفعل ، لكننا أيضا يمكن أن نقوم بأفعال ونحن في حالة زوغان. إن الأنشطة العقلية هي موزعة بشكل غريب. أعتقد أن هناك نسبة ضعيفة جدا ـ ولن أعطيك الرقم بدقة ـ من الأنشطة العقلية الواعية ، بل والفاعلة. وهنا نعود ربما إلى مفهوم العالم المكسيكي. من بين كل الأنشطة الإنسانية ، ربما هناك نسبة 12% هي بالفعل أنشطة واعية. والباقي مجرد محاولات وتجارب مجهضة ولا تسفر عن شيء . إنها طرق مسدودة نسقط فيها حركات غير فاعلة. وهوالشيء نفسه بالنسبة للحيوانات ، إذا ما راقبتها عن قرب. تظهر كما لوأنها تآلفت مع مملكة الأرض ، لكنها هي الأخرى تقوم بالكثير من الأفعال غير المجدية. رأيت قططا تسقط إثر حركة غير موفقة... نستطيع أن نرى أشياء غريبة جدا في هذا المجال. أظن أنه حتى النمل يخطئ ،

Twitter: @ketab_n

من حين لآخر ، فيذهب في الاتجاه المعاكس لمملكة النمل. هناك نمل مفقود. والكاتب هوذلك الشخص الذي يملك الترف والحظ أكثر من الآخرين ! وأحيانا يفقد الأمل في قدرته على تسجيل هذه الحركات غير المجدية ، وهذه الأفكار غير المجدية ، وأحيانا لا يستطيع أن يصنع شيئا قائما على أسس.

□ **الفكر ، هل هوأيضا شيء تؤمن به اليوم؟**

■ نعم ، لماذا؟ كيف لا يمكن الإيمان بالأفكار؟ هناك فكر من يتعب عقله، طبعا. وأيضا إشعال سيجارة هو ، بطريقة ما ، تعبير عن الفكر. كتب «سارتر» Sartre أشياء جميلة جدا عن السيجارة. فكل الحركات التي نقوم بها بغرض ما هي حركات مفكّر فيها. إضافة إلى أن الكائن البشري نادرا ما تجرد من التفكير. وإذا كان الأمر يتعلق الآن بفكر منسجم ، لا بد بالطبع من التمييز بين الشيء النافع وبين كومة الأشياء غير النافعة. أنظر ، في اللغة ، كل هذا التضخم وهذه الأجزاء ، هذه الجزيئات غير المجدية ، كل هذه ألـ«أوه» ، وهذه الترددات التي نضيفها كي نوصل التعبير عن شيء. نظن أن الحاسوب ، إلى جانب ذلك ، هو أكثر كفاءة بفضل إيقاعه المزدوج ، صحيح ـ خطأ ، أو 1-0.

□ **هل انتبهت إلى أنني طرحت عليك السؤال نفسه ثلاث أو أربع مرات ولم تجبني لحد الآن؟**

■ اطرحه مرة أخرى. لا لم أنتبه.

□ **لماذا تهرب من فرنسا ستة أشهر في السنة؟**

■ آه ، لكنني لا أهرب أبدا من فرنسا !

□ **أنت من كتب ذلك ، وأحيانا هذه هي كلماتك المفضلة...**

Twitter: @ketab_n

■ نعم ، تقصد «كتاب الهروب» le livre des fuites. لكن الأمر لا يتعلق بهروب للإفلات من شيء ما. لم أختبر الأمر هكذا أبدا.

□ **حتى في الأصل؟**

■ لا ، ولهذا ربما لم أجب عن سؤالك بعد. لأنني أعتقد أن ذهابي إلى المكسيك ليس هروبا. وفي هذه النقطة لا أستطيع التشبه بـ«أرتو».أنا لم أهرب من شيء محدد ، ولم يطاردني السرياليون. أنا لم أهرب من شيء ما ، أنا لست هاربا ...بل بالعكس ، أشعر أن شيئا ما يناديني. الأمر يشبه إلى حد ما أن نعرف أننا نركب طائرة تتزحلق ليس فوق الجزء السفلي ، بل فوق الجزء الأعلى من الجناح. ستقول لي إنني أتحدث كثيرا عن الطائرات ، لكنني أظن أنه مثال جيد. في حالة الطائرة يكون من المهم أن نستوعب أنها لا تحلّق كما يحلّق الطائر ، أي أنها لا تثقل على جناحيها ، لكنها بالعكس من ذلك تسعى إلى بذل جهد للارتفاع نحوالأعلى. أظن أنني ، في حالة السفر كما أتصوره ، لا أهرب من فرنسا ، بل إن المكسيك تجذبني نحوها. لست حامل أثاث قديم ، أنا بكل بساطة تجذبني الأسفار نحوالمناظر الجديدة.

□ **حقا ، وبخصوص المناظر ، أعود إلى مسألة التطور التي تحدثنا عنها من قبل. أنتم ، كتّاب المدن ، والكهرباء ، والسيارات ، والإسمنت والحديد، أصبحتم كتّاب الصحراء ، والشفافية ، والصمت. يجب أن نتحدث عن صمت الهنود والأزتيك ، عن هذا الصمت الكبير الذي تلا كارثة انقراضهم. لقد كونت مجموعة منتخبة من الأماكن « اللكتيزية» -Lacté ziens : شواطئ ، سواحل ، صحاري ، أراضي ميتة ، مساحات أرضية شاسعة ، أشجار ، ضوء ، بحر...إذن ، بدون الحديث عن الهروب ، هناك وجود لهذه الأماكن.**

■ لقد انتبهت إلى أن ما يثيرني في المدن هي تلك الأراضي الشاسعة ، وكل

Twitter: @ketab_n

شيء بقي على هامش التعمير أو ، بالعكس ، كل ما أبعده التعمير. عندما وصلت إلى باريس ، فوجئت ، واندهشت في الآن نفسه ، بوجود حقول من الذرة على أبواب باريس. حقا ، العديد من حقول الذرة من جانب «رواسي» Roissy ، عندما تصل ، تأخذ الطريق السيار ، وفي كل جانب تجد حقول الذرة التي تمتد حتى المنطقة القديمة. لا أعرف هل تم ذلك وفق برنامج معين.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

3
تاريخ مرتبط بالغرابة

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

□ **ما الذي يثيرك في المساحات الشاسعة؟**

■ لا أعرف. ربما ذلك التناقض البسيط مع طفاح le trop-plein المدينة ، أوذلك الإحساس بالإهمال. المساحات الشاسعة تتناقص يوما بعد آخر ، في كل أوروبا ، المساحات الشاسعة تختفي الواحدة بعد الأخرى. وبالعكس من ذلك نجد المدن الأمريكية تحتفظ بمساحاتها الشاسعة ، وربما ذلك ليس إراديا ، بل بسبب مشكل الإرث. فعندما لا يعرف كم من وارث يوجد بعد موت المالك ، يترك الأمر كما هوعليه.

□ **نرى أيضا السيارات العتيقة تملأ هذه المساحات...**

■ نعم ، فأحيانا تصبح مقابر للسيارات. نحس فعلا أننا أمام أرض خلاء no man's Land. فهي لا تنتمي إلى أحد. الفظيع في المدينة ـ وهذا ما يجعلني أمثّل المجتمعات الأمريكوهندية ـ هوذلك الإحساس بالتملك. ذلك الانطباع بأن كل شيء محجوز ، كل شيء مأخوذ سلفا. أقول لنفسي أحيانا إنه شيء مخيف أن يولد إنسان اليوم ، أن يأتي إلى عالم كل شيء فيه مخصوص ، حيث لا تكون لك إمكانية ، لا أقول في امتلاك شيء ما ، بل أن تمر بكل بساطة ، لأن مساحة شاسعة تعني إمكانية المرور. إذا بنيت

Twitter: @ketab_n

منزلا على تلك المساحة فأنت تلغي إمكانية المرور.

□ **أن تمتلك شيئا هوشيء مخجل في نظرك؟**

■ نعم أعتقد ذلك ، وإذا كنت أمثّل المجتمع الأمريكوهندي فلأنه لم يجعل من التملك مبدأه الأساسي. فالمجتمعات الأمريكوهندية تعتبر مسألة امتلاك الأرض بمثابة بدعة ، أوتصرفا غير معقول. فهذه المجتمعات التي مازالت على قيد الوجود تعتبر دائما أن الأرض هي لكل الناس. إنها أمنا جميعا ، وهي موجودة لجلب الخيرات للكل ليستفيد منها كل فرد ، وليس لأحد حق القول

إن الأرض تنتمي إليه. فهي ممنوحة إليه ، مثل الحياة ، ومثل جميع العناصر ، الهواء مثلا. عندما كتبت «الحلم المكسيكي» Le Rêve mexicain ، كنت أود لواستشهدت ، في الصفحة الأولى من الكتاب ، بنص لم أنجح في العثور عليه. وهوعبارة عن جملة قالها قائد هندي لحظة لقائه بالقوات الأمريكية. أنتقد الأمريكان ـ في منتصف القرن التاسع عشر ! ـ بخصوص سلوكهم مع الطبيعة. قال لهم ما مفاده :«رغبتنا نحن هي أن نترك لأبنائنا الأرض كما وجدناها. إذا وجدنا غابات ، تركنا لهم غابات. وإذا وجنا بحيرة ، تركنا لهم بحيرة. لقد ورثنا بعض الأشياء ، أورثوها لنا آباؤنا ، ويجب أن نورثها كما ورثناها». لقد وجدنا هذا القول جميلا جدا. لكن للأسف لم أجد النص كما هو. لكن رغم ذلك أعتقد أن هذا النص يعبر عما أحبه في «الأرض الخلاء» وفي المساحات الشاسعة.

عندي شعور أن في هذه الأرض شيئا ما لا ينتمي لأحد ، وربما نستطيع أن نسلمه للأجيال القادمة. خصوصا وأن الأطفال هم من يستفيد من المساحات الشاسعة. سيكون إرثا جميلا.

Twitter: @ketab_n

□ **إن المشهد الطبيعي عند لوكلوزيو هو إذن الخلاء ، أو ذلك الخلاء الذي يتقلص إلى مساحات شاسعة ، إلى شاطئ ، ساحل ، والتي هي أيضا «أراض خلاء». إذن ، فالشخصية الرئيسية عند لوكلوزيو ، هي الطفل ، الفقير ، أو الرحَّالة ؟**

■ إنه شخص عابر. شخص منحت له الحياة ويريد أن يعيدها.إضافة إلى أن شخصيات الرواية تدفعني إلى الإحساس بأنني أمام أناس منحت لهم الحياة وهي لا نهائية. وأنهم يعيشون فضاء اللحظة الأدبية. إنها ليست حياة دائمة. الشخصيات الروائية ، مثلها مثل شخصيات الرسوم المتحركة ، هي شخصيات عابرة. وفي الآن نفسه ، نحس أن من يتخيلهم يتلقى منهم شيئا يذهب إلى ماوراء الحياة. إنه أمر عسير شرحه. أفكر خصوصا في شخصيات الرسوم المتحركة. في «تانتان» Tintin ، وفي شخصيات أخرى مثله ، نشعر أنهم لا يشيخون ، ولا يتغيرون ، وبأن حياتهم قصيرة جدا . وفي الآن نفسه نحدس أن كاتبهم ـ هيرجي Hergé ـ إذا لم يمنح الخلود ، فإنه منح ، على الأقل ، نوعا من وقف تنفيذ الموت ، أوشيئا يمتد إلى ما وراء الحياة. الشخصيات الروائية هي أيضا هكذا.

□ **وأحيانا الكاتب أيضا؟**

■ نعم ، وأحيانا الكاتب.

□ **لم تتغير. رغم مرور خمسة وعشرون سنة على كتابك الأول...**

■ إذا لم أتغير ، فلأنني نسيت الخمسة وعشرون سنة. لم أنتبه إلى السنوات.

□ **ربما أيضا لأنك رحالة ، بمعنى ما؟**

■ أعتقد أنني نسيت العديد من الأشياء. أظن أن الشعوب الرحالة الحقيقية هي التي تعيش في قلب إفريقيا ، أو في أمريكا الصحراوية ـ كانت لها ميزة

Twitter: @ketab_n

نسيان هائلة. من جيل إلى آخر ، يستطيع الناس أن ينسوا المكان الذي عاشوا فيه ، والأحاسيس التي كانت تتملكهم. لم يكن لهم تاريخ.

□ **وأنت ، هل لك هذا الإحساس؟**

■ أظن أن للتاريخ وزنا فظيعا ، نوعا من الطوق. للتاريخ وزناً ثقافياً ثقيلاً جداً ، وزناً لا ينفع في شيء في غمار الحياة اليومية.

□ **وهل تشعر أنت شخصيا بذلك؟**

■ نعم ، وبقوة. أفكر مثلا في أن سنة 1610 لم تكن لها أية قيمة. سأصنع لنفسي أعداء ، بكل تأكيد. وأنا أقول ذلك ، لكنني أرى أن سنة 1610 ليست لها أية أهمية ، وبالمقابل أعتقد أنه سيكون من المفيد جدا معرفة كيف كان يولد الأطفال في تلك المرحلة ، لكننا لا نعرف. لم نحتفظ بأية آثار. كان من المفيد أيضا معرفة إلى حدود أي سن كان الأطفال يرضعون في زمن هنري الخامس Henri VI ، لا نعرف. وأنا مقتنع بأن الأطفال كانوا يرضعون لفترة أطول من فترة رضاع أطفال اليوم.

□ **وهل هذا إحساس ينتابك بخصوص تاريخك الشخصي؟**

■ هل يمكن أن نتحدث عن التاريخ عندما يتعلق الأمر بشخص؟

□ **لا أعرف. هل تفضل كلمة أخرى؟ سيرة Biographie مثلا؟**

■ التاريخ ، يذكرني ذلك حقا بذكريات سيئة ، بتواريخ كنت أكتبها على يدي ، أثناء اجتياز الامتحانات ، لأن ذاكرتي ضعيفة مع التواريخ. وإذن ، كنت أضع لوائح للتواريخ وأحاول أن أتذكر الأحداث التي تناسبها.

□ **لكن ، هل تمتلك ذاكرة عن حياتك الخاصة ، حياتك الماضية؟**

■ نعم ، وحيوية جدا. وهذا ما قصدته عندما تحدثت عن الكريات الشخصية المبهمة. إنها نوع من الأساطير ، بدايات لحكايات وليست حكايات.

Twitter: @ketab_n

مداخل حكايات. أشعر أن كل شيء يختلط ببعض. وأن لا وجود للتناغم.

□ **طرحت عليك هذا السؤال لأنه لا يبدو أنك لا تسأل نفسك عن تاريخك ، عن مغامرتك الشخصية . فأنت تحتفظ دائما بأسرارك . أعرف بعض الكتّاب يحيطون حياتهم بالتكتم ، ربما أكثر منك ، لكننا نتصور بصعوبة أنهم ينتمون إلى أرض. إلى تاريخ ، إلى عائلة. أنت ، لا.**

■ كان لي الحظ ، أوسوء الحظ ، في النشوء صدفة ، في مكان لا أنتمي إليه ، من عائلة جاءت من إحدى الجزر ـ جزيرة موريس l'île Maurice ـ فمرَّت من ذلك المكان الذي سأولد فيه. وكانت قادمة من بروتون Bretagne . قضى والدي جزءا من حياته في إفريقيا. جدي كان طبيبا في ضاحية من ضواحي باريس. وفي النهاية لم تستطع عائلتي أن ترّسخ فيّ طعم التملك. لقد كانوا دائما منتظمين. لم يوصوني أبدا بأساطير شخصية ، أوإحدى تلك المغامرات التي نحملها معنا والتي تصنعك. أظن أنني أنتمي إلى عائلة غريبة الأطوار إلى حد ما ، توجد فيها أشياء غريبة ساهم فيها كل واحد بقسط ما. كان جدي مغرما بالطيران. إحدى عماتي اخترعت السينما بالألوان ، وفي الوقت نفسه التي كانت فيه هذه السينما تصنع في الخارج. وبعد ذلك بقليل اخترعت أحذية خاصة بالجنود. تضم عائلتي عدة أشخاص يمارسون الرسم. لم تكن لهم ملكة الأعمال ، كانوا دائما يفلسون بسبب هذه الاختراعات ، لكنهم كانوا دائما يحلمون باختراع شيء ما. أعتقد أنني ، إذا كان لي تاريخ ، فإنه مرتبط بالغرابة وبغير المتوقع ، بضد التاريخ. لاشيء له وزن. لقد كانوا أشخاصا متقلبين ، وكانوا يهاجرون بسهولة.

Twitter: @ketab_n

□ ماهي حكاية هذه الهجرة إلى جزر موريس؟

■ أعتقد أن لها علاقة بالثورة الفرنسية. كان لجدي ـ الذي مات في فالمي valmy ـ شعر طويل رفض أن يحلقه. وفي الجيش الثوري كان ضروريا أن يكون الشعر قصير. فذهب !

□ هل حقا أن البروتون les Bretons فقدوا في «فالمي» امتياز شعرهم الطويل؟

■ نعم لقد فقدوا ذلك الامتياز ، فلم يعرفوا إلى أين يذهبون. ذهب جدي إلى الهند. لكن وهو في طريقه إلى الهند توقف في جزر موريس . على كل حال، الأمر يتعلق مرة أخرى بحكاية شاذة : لقد أصبح صاحب سفينة فخسر كل ثروته. لقد مارس التجارة لوقت قصير ، وربح قليلا من المال.راهن على سفينة قرصنة دمرها الإنجليز ، فخسر كل شيء.

□ على ذكر الإنجليز ، هل هناك أيضا جانب من الأنجلوفونية في حالتك؟

■ نعم ، لأن جزيرة موريس ـ ستنتبه إلى ذلك لوزرتها ـ مقسمة بين مبغضين للإنجليز Anglophobes ومحبين لهم Anglophiles. كل من له أصول فرنسية عموما ، هوبالتقليد مبغض للإنجليز ، وكل من له علاقة بعالم الهند هومحب للإنجليز ، بل وأحيانا مقلد للإنجليز Anglomane . أي يحب الإنجليز. على كل حال ، هناك تأثير متبادل بينهما. كان أبي محبا للإنجليز ، ربما بسبب عقله المتناقض. كان يحاول أن يعطي لمحيطه طابعا إنجليزيا . كانت اللغة الإنجليزية ، والكتب الإنجليزية ، وكل ما هو إنجليزي في مرتبة أعلى. هكذا قرأت «كونراد» Conrad في وقت مبكر ، فأحببته بسرعة.

□ كتاب «جنون المايرAlmayer- La folie » مثلا؟

■ نعم «جنون المايرً» كتاب جميل.

Twitter: @ketab_n

□ **ثم هناك جدك المنقب عن الذهب .**

■ هوالآخر كان حالما. كان يحلم بأن يعيد حياته بذلك الشكل.

□ **هل أنت منقب عن الذهب ، على طريقتك؟**

■ صحيح أن الذهب دافع مهم في أمريكا. وأعتقد أن لهذا السبب قد أثر في تاريخ هنود أمريكا بهذه القوة.

الذهب يكاد يكون عنصرا مقدسا عند الهنود. وإذا بالغت قليلا ، أقول إن الذهب بالنسبة للهنود الأمريكيين بمثابة مادة من كوكب آخر ، كما لوأنها سقطت من الشمس ، كما لوأنها قطرات من الشمس سقطت على الأرض. فصنع أشياء من الذهب ، وإذابة الذهب ، يشبه استخدام مادة مقدسة.

□ **لكن الذهب ، في تاريخ الغرب ، مرتبط بفكرة التملك.**

■ نعم ، ولهذا السبب طالب الإسبان باستعادة الذهب. ما يحيرني في مأساة غزوالمكسيك هوهذا الالتباس: من جانب آخر هناك أناس يعطون كل ذهبهم ظانين أن الآلهة جاءت تطالب بحقها.

□ **ما أدهشني في «الحلم المكسيكي» هوأنني قرأته باعتباره مديحا للبربرية.**

■ عوض مديح أقول رد الاعتبار للبربرية ، للبرابرة. من نسميهم البرابرة في المكسيك ، كانوا هم شعب الشمال الغربي الرحالة ، وفيما بعد ، أصبحوا يعرفون بـ«المايا» les Maya ، أي أولئك الذين يقاومون النظام الإسباني. كانوا يسمونهم أحيانا «العراة» Les Dénudés ، لأنهم كانوا عراة تماما. كانوا يسمون أيضا «المحززون» لأنهم كانوا يتعاطون الوشم.

□ **كتبت: «أصل الحضارة يكمن في البربرية ، إضافة إلى أن البربري قبل كل شيء هوالإنسان الحر».**

Twitter: @ketab_n

■ هذا من وجهة نظر الحضارة. فنحن نضع الحضارة مقابل البربرية ، إذن بالنسبة للإنسان المتحضر ، البربري يمثل نوعا بغيضا.

□ **هذا معناه أنك أنت بنفسك تبحث عن شكل للبربرية؟**

■ البربرية تعني العديد من الأشياء. من بين ما تعنيه ذلك الإنسان الذي يقوم بأفعال بربرية ، وهذا أمر لا يمكن الدفاع عنه. النازيون كانوا برابرة بالمعنى الأسوأ للكلمة.

□ **لكنك تقصد المعنى الإيجابي للكلمة.**

■ نعم ، لأن البرابرة الذين أتحدث عنهم ، يشبهون قليلا الإفرنج أو المنغوليين. لم يكونوا حتما مجرمين. الذين كانوا يسمونهم الإسبان برابرة ، في الشمال الغربي من المكسيك ، كانوا ينتمون إلى حضارة تختلف عن حضارتهم ، لكنهم كانوا أناسا متحضرين فعلا. هؤلاء البرابرة كانوا متحضرين في حين أن بربرية الإسبان كانت تتجلى في كونهم كانوا ينهبون ويقتلون ويلقنون المسيحية بالسيف ، في حين أن هؤلاء البرابرة ، رغم مظهرهم الخارجي ورغم أنهم كانوا عراة ، ويعيشون حياة متوحشة ، إلا أنهم كانوا يحترمون وعدهم ويتصرفون كأناس شرفاء.

□ **كيف كنت تعيش في المكسيك؟**

■ في غالب الأحيان كنت أعيش متجاهلا الزمن. كنت أعيش على إيقاع الشمس.

□ **هذا مظهر من مظاهر البربرية.**

■ لكنني أعيش أيضا وأنا أكتب ، وهذا طبعا ليس بربرية. كما أني كنت أتنقل كثيرا ، وأتجول. كانت لي حياة قريبة جدا من الناس على عكس ما أنا عليه هنا ، في فرنسا. من السهل جدا اللقاء بالناس في المكسيك. إنه مجتمع لا

Twitter: @ketab_n

يعاني من الحواجز التي نصطدم بها في أوروبا. الناس في المكسيك أكثر انفتاحا.

□ **بما في ذلك وسيلة الصمت؟**

■ بما في ذلك وسيلة الصمت. تحديدا لأن الصمت لا ينظر إليه في المكسيك باعتباره غيابا للكلمات ، بل باعتباره وسيلة أخرى للتعبير. يمكننا مقارنة صمت هنود أمريكا بلا عنف الهنود في مرحلة غاندي. عندما يصمت المكسيكيون ، فلأن لهم أشياء مهمة يريدون قولها. ويجب فهم تلك الأشياء. وحتى في السياسة ، غالبا ما يكون الصمت هوالأقوى ، هومن يتكلم بقوة . ربما ليس على مستوى السياسة الوطنية. لكن في أوضاع السياسة المحلية. سأعطيك أمثلة يمكن أن تبدو ، ربما ، ساخرة لكنها في الآن نفسه دالة : لنفترض أن قسا أراد تغيير جرس الكنيسة ، والقرية ليست متفقة على ذلك ، لأنها تجد أن الجرس القديم مازال صالحا جدا. في هذه الحالة ليست هناك وسيلة لإفهام القس غير عدم الذهاب إلى الكنيسة، والكف عن الحضور ، وبفضل هذه القوة يتم التوصل إلى إرجاع الجرس القديم إلى مكانه. هذا شيء حدث من قبل. أعتقد أنه طبع مرتبط بالثقافة الهندوأمريكية .

أي يتم إفهام الأمور دون قول . ويجب أن يفهم ذلك بنصف كلمة ، كما يقال ، وهناك أشياء تفهم بدون كلمات.

□ **كنت تعيش هناك بالقرب من غابة؟**

■ لا ، بالقرب من بركان. أنا أقيم عند قدم بركان بالضبط. ولد هذا البركان سنة 1946. أعتقد أنه أصغر بركان في العالم. يسمى «باريكوتان» Paricu-tin. لقد أثارني جدا. كان أبي مشتركا في مجلة جغرافية إنجليزية اسمها «المجلة الجغرافية» Geographical Magazine ، وأتذكر جيدا أنني رأيت

Twitter: @ketab_n

هذا البركان سنة 1946 في هذا المجلة. وعندما رأيت صور هذا البركان وهويولد صدمت. وذات يوم اكتشفت أنه يوجد في المكسيك. ذهبت لأراه فاستقريت بالقرب منه.

□ **كيف استقريت؟**

■ استقريت في قرية ، عند قدم هذا البركان.

□ **قرية صغيرة؟**

■ نعم ، قرية صغيرة.

□ **هل تملك مزرعة؟**

■ ليس هناك مزارع في المكسيك. لقد انتهت. منذ الثورة انتهى كل شيء.

□ **أية علاقة تربطك بناس القرية؟**

■ لي علاقات جوار ، شبيهة بعلاقات الجوار التي كانت لي في نورماندي Normandie.

□ **الأمر أكثر تعقيدا في نورماندي بكل تأكيد.**

■ ربما. من الصعب إجراء مقارنات لأن فرنسا لم تعد بلدا قرويا. وهذا ما يحزنني قليلا. أعتقد أن «ليفي ستراوس» Lévi-strauss هوالآخر يتأسف على هذا الوضع ، لكننا لا نستطيع العودة إلى الوراء أوعلى الأقل فنحن بصعوبة نستطيع تغيير ما تم تدميره. لقد اختفى المشهد القروي القديم. لكنه مازال موجودا في المكسيك. هناك مكان ، لا يبعد كثيرا عن بيتي ، في المكسيك ، يمكن أن ترسمه فيعطي لوحة من القرن الثامن عشر. هناك عربة الحصان ، الأطفال يركضون ، الضيعة ، دخان يصعد في البعيد ، الأشجار الضخمة. هذا ليس أمرا مذهلا ، كما أنه ليس منظرا بجمالية كبيرة ، ورغم ذلك ، ونحن نشاهده ، نشعر أننا أمام لوحة من القرن

Twitter: @ketab_n

الثامن عشر. هذا أمر عجيب.

تحدثنا قبل قليل عن الصمت، أظن أنه شيء مهم. ليست الثقافة المكسيكية ثقافة راعدة، فهي لا تفرض نفسها، فإمكانياتها قليلة حتى تفرض نفسها. إنها ثقافة تشق طريقها بواسطة أدوات مختلفة عن أدوات الثقافة الغربية. الناس في المكسيك يقرؤون ويستعيرون الكتب. عندما يشاهدون فيلما على شاشة التلفزيون ـ حتى نأخذ مثالا جاريا ـ وإذا كان هذا الفيلم بالإنجليزية، علما أن المكسيكيين لا يتكلمون الإنجليزية، فإنهم يجلسون أمام التلفاز ويخترعون الحوارات. ويحاولون تخمين القصة وهم ينظرون إلى الوجوه، فيبدعون نوعا من المسرحية يستطيعون عن طريقها تكوين الفيلم. إنهم يمتلكون جانبا إبداعيا فقدناه في أوروبا، كما أعتقد. فهم يملكون الطاقة على اللهوبأقل الأشياء وعلى الإبداع من عدم. يمكن للثقافة أن تتطور وتمتد عن طريق الصمت، وتحديدا ذلك الصمت الذي تحدثنا عنه. إن صمت هنود أمريكا، بعد الغزو، هوصمت بليغ في اتهامه، قوي ويحمل أشياء كثيرة. أما الثقافة المكسيكية اليوم، فإنها تمتد أحيانا بواسطة مالا يقال، بواسطة الحركات وعناصر الحياة اليومية، بالمشاهد البسيطة جدا ولكن التي تحمل دلالات. عندما تسأل مواطنا مكسيكيا عن الذي يفتقده أكثر في الولايات المتحدة، يجيبك:«ما ينقصني هو المكان الذي نجتمع فيه، في الليل، حيث نرى الشيوخ، والشباب، حيث يتجول الناس، ويلتقون. حيث الفتيات يمررن بفساتينهن الجميلة...لم تعد تلك الأشياء أبدا، هنا، هذا ما أفتقده كثيرا.» هذه هي الثقافة في العمق.

□ **هل يوجد ذلك في القرية التي تقيم فيها؟**

■ ذلك موجود في كل المكسيك. في المكسيك، من الشمال إلى الجنوب ـ

Twitter: @ketab_n

وحتى في المناطق الصحراوية ـ يوجد ذلك المكان ، بأشجار هزيلة بهذا القدر أوذاك ، حيث يلتقي الناس ، يتحدثون إلى بعضهم وهم يبدعون ذلك النوع من المسرح ، ويخترعون تلك الثقافة وذلك التواصل.

□ **هل تخرج في الليل؟**

■ نعم ، بكل تأكيد. في المكسيك نعيش الليل. إنها ليال جميلة.

□ **وفي النهار؟**

■ أكتب...فأنا أعيش على إيقاع ربما أبطأ من الإيقاع الذي أعيش عليه في فرنسا ، لكنني موجود.

□ **وأعمالك الكتابية ، هناك ، هل تتم كلها في المكسيك: إصلاح المخطوطات والترجمات؟**

■ لا ، إطلاقا. مثلا ، الدراسة التي كتبتها مؤخرا ، تتكون في جزء كبير منها من مقالات نشرتها في المكسيك.

□ **هو إلى حد ما مترجم عن الإسبانية.**

■ أحيانا أذهب إلى الأرشيف ، حيث ألتقي بالناس.

□ **هل انقطعت عن التدريس؟**

■ لا ، لا أدرّس في المكسيك. لقد درّست في الولايات المتحدة لأنه أمر سهل ، لكن في المكسيك لا أدرّس.

□ **أنت إنسان حر هناك.**

■ نعم ، لكنني لست أقل حرية في فرنسا. فقط هو بُعد آخر للحياة.

□ **توجد في كل كتبك ، روايات ودراسات ، فكرة أن الأفكار ، تحديدا ، هي نتاج الطبيعة. توجد هنا دلالة روسوية rousseauiste (نسبة إلى جان جاك**

Twitter: @ketab_n

روسو) خفيفة ، أليست كذلك؟

■ أظن أنها دلالة مغذاة أيضا بذلك اليقين القادم إلي من المجتمعات الأمريكوهندية. إننا نشعر يوما بعد آخر بأننا مدينين بأشياء كثيرة للمجتمعات المنقرضة ، أو في طريقها إلى الانقراض. ومن بين تلك الأشياء ، اليقين بأن الكائن الإنساني لا يجب عليه أن ينفصل عن محيطه الطبيعي. فالمدينة ليست محيطه الطبيعي. محيطه الطبيعي هوالتوازن بين كل القوى ، وضمنها القوى الحيوانية والنباتية ، نستطيع هنا أن نرى نوعا من الحلولية Panthéisme....

□ **من ماذا تتكون الطبيعة التي تحيط بك هناك؟ من الحيوانات والأشجار؟**

■ في الجبال أشجار الصنوبر جميلة وضخمة جدا. الأشجار الأكثر انتشارا في تلك المنطقة هي السروالمنغا. شجرة المنغا مزدهرة بشكل خاص. في تلك المنطقة الأرض هي الأكثر غنى في العالم ، إنها عبارة عن وادي تربته سوداء ، تتكون من الطمي وتربة بركانية. هناك مكانان في العالم نجد فيهما هذه التربة ، في هذه المنطقة وفي وادي أوكرانيا ، كما أظن. المزارعون يحصلون أربع مرات في السنة ، وذلك يبدومستحيلا ، مقارنة مع المحاصيل في فرنسا.

□ **العالم حسب الأزتيك ـ تتحدث عن ذلك في إحدى مقالاتك ـ مربع الشكل ، وكل زاوية فيه تتكون من لون ، من شجرة وحيوان وملاك حارس. إذا ما سألتك عن لونك المفضل ، وشجرتك المفضلة ، وحيوانك المفضل ، وملاكك الحارس؟**

■ اللون الذي أفضل هوالأزرق ، بكل تأكيد.

□ **ليس نفس الأزرق الموجود في الخارج. في البداية كان أزرق ضوء لوحة**

Twitter: @ketab_n

قيادة السيارة ، سيارة «أوبيل» Opel خصوصا. أذكر جيدا صفحة كاملة كتبتها عن هذا الأزرق. وأصبح اليوم الأزرق لون السماء ، أوالبحر ، أليس كذلك؟

■ نعم ، لكن مؤخرا ركبت سيارة أمريكية عندما تشعل مصابيحها تضيء تلك الإشارة بأزرق غريب لم يفارق ذاكرتي. صحيح أن الألوان الزرقاء الحالية ، في غالبية السيارات الحديثة ، ليست جميلة. عندما تشعل اللون الأزرق في لوحة القيادة ، تجد أنْ ليس له القوة نفسها كما في السابق ، ولا أعرف هل ذلك بسبب الترانزستور. لكنني في الأخير أنا مع اللون الأزرق.

□ **وماهي الشجرة المفضلة؟**

■ أتردد قليلا بين النخلة و...لا ، أعتقد أنني أستطيع أن أقول النخلة هي إحدى الشجرات التي أفضل ، رغم ما يقال عنها من سوء. قرأت مؤخرا في إحدى الجرائد نقدا لاذعا ضد النخلة. قيل في شأنها إنها بلا ظل.. أجد في حركة النخلة شيئا رائعا.

□ **والحيوان؟**

■ يثيرني دائما الثعبان.

Twitter: @ketab_n

4
السفر ... السفر

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

□ **نحن اليوم على متن سيارة. لقد غادرنا باريس في اتجاه الجنوب ، السيارة في رواياتك ليست شيئا فقط ، إنها تكاد تكون شخصية روائية..**

■ أنا أرى أن المحركات هي التي تسير. في ذلك شيء لا إنساني وهو في الآن نفسه يومي جدا ، وقريب جدا من الحياة اليومية للناس ، لا يمكن أن نرضى على هذا القول: أنا أكره السيارات. نحن مضطرون أن نقبل استعمالها ، وأن نكون في عالم تنخره باستمرار. إنها هنا ، تحيط بنا وتقدم لنا عدة خدمات ، هذا يدفعني إلى التفكير في كتاب لـ«سويفت» حول بلاد ال «هويهنومز». أظن بأنها تلعب إلى حد ما دور الإنسان في كتاب «الهويهنومز»: إنهم حيوانات ينقسها اللطف ، حاضرة طوال الوقت والإنسان يعاملها بعنف. وأنا أتساءل دائما ألا يأتي يوم تتفوق فيه على الإنسان.

□ **إضافة إلى ذلك ، وإذا كنت أتذكر جيدا ، فإن «سويفت» يقدم في «هويهنومز» الإنسانية التي تسيّرها الخيول ، حيث للخيول عدة امتيازات عن الإنسان ، أليس كذلك ؟ واليوم يتعلق الأمر بالخيول ـ المحركات ؟**

■ نعم ، لقد تم استبدال الخيول بهذه الحيوانات المدمرة. ففي استعارة «سويفت»

Twitter: @ketab_n

شيئا رائعا ، لأن هذا الحيوان ، الذي اختفى كليا من المجتمع اليومي ، كان يمثل ، في تلك المرحلة ، ما كان في نفس الآن عاديا ونبيلا ولكن تساء معاملته. كان الفرس الأصيل يمارس السباق ، أما السيارة اليوم فهي بعيدة عن أن تلعب هذه الأدوار.

□ **سبق أن كتبت : «أحب السفر دون أن يوقفني أفق ما» . هل هذا الهروب من الأفق يتم تحقيقه عن طريق السيارة؟**

■ صحيح أنني أشعر بذلك ونحن على متن السيارات ، أحيانا. خصوصا في الطرق السيارة الأمريكية ، وعندما نكون أمام خط مستقيم على أرض منبسطة ، يتوقف المحرك . للسيارات الأمريكية أنظمة تسمح بكبح دواسة السرعة ، فتسير كل السيارات بنفس السرعة ـ نشعر بنوع من الحركة اللامتناهية ، وبأننا لن نتوقف أبدا. بل إننا نتساءل حتى إن كنا نتخذ وجهة ما. صحيح أننا نحس بذلك ونحن على متن السيارة.

□ **رغم ذلك ، هناك شيء ما تغير ، بخصوص السيارة . ففي كتبك ، في رواياتك خصوصا ، يبدو لي أن في حقيقة أعمالك تتحرك السيارة وتجوب المسافات ، وشيئا فشيئا في كتبك دائما ، أصبحت السيارات أكثر ثباتا ، فهي أحيانا على صورة خرائب ، حطام وسط الأكواخ ، أوسط أرض شاسعة.**

■ يجب أن تكون ماكرا مع عالم السيارات كي تجد وسيلة لتطويعها. أظن أننا في الماضي ، كنا نجهل قضية الإدمان التي تقدم في الأفلام. أفكر في فيلم ، Fureurs de vivre ، مثلا. كان الناس يقودون بسرعة ، وينتابهم إحساس اختراق الممنوع. كانوا يجدون بذلك نوعا من المطلق في داخلهم. اليوم ، ازداد عدد السيارات ، لقد تضاعف عددها ، الصورة التي نحملها اليوم في المدن ، هي صورة وسائل النقل الواقفة التي نسميها بعبارة مستخفة:

Twitter: @ketab_n

«اللاصقة» des ventouses إنها ركام من الإطارات ، على طول الشارع ، والأرصفة ، محجوزة في زحام حركة السير. يضطر الراجلون حولها إلى الالتواء ، وحماية أنفسهم.

□ **هل تحب البقايا والحطام واللاصقات ، كما تسميها؟**

■ أحب كثيرا حطام السفن ، هناك نوع من السحر في منظر سفينة أخفقت أمام صخرة ، ومهزومة من طرف البحر. أجد أنها صورة ساحرة. أعتقد أن العديد من الأشياء التي صنعها الإنسان ـ والأمر صحيح بالنسبة لبقايا الآثار ـ تشتهر بالتدمير. فعندما تستعيدها الطبيعة ، وعندما يظهر عليها الصدأ ، فيتغير كل شيء ، فما صنع من أجل أن يكون نافعا يصبح عديم الجدوى ، غير مفهوم وعبثي. أظن أن هذه الأشياء أصبحت منحوتات وتماثيل.

□ **لم يعد هذا الحطام والبقايا أشياء تدعوللسفر. لقد أصبحت دعوة للتذكير ربما؟**

■ نعم. إنها بقايا عظام حوت عصرنا الحديث. في مرحلة سابقة ، كانت شواطئ أمريكا ـ وشواطئ أوروبا ودول الباسك ـ مغطاة بعظام الحوت. وأظن أنه في تلك اللحظة يجتاحنا إحساس أننا وسط بقايا عالم مفقود وضائع. ومع تكاثر بقايا الإنسان ـ أي تكاثر كل هذه الأشياء المعاصرة التي تنهار ، وهذه البقايا التي تتكدس في مقابر السيارات والطائرات والسفن ـ نشعر أننا في قلب مجتمع في طور الانقراض. وذلك يعطينا صورة عمّا سيكون عليه العالم خلال مائة أومائتي سنة. يبدو لي أننا نعيش في قلب مصيره. وإنه شيء مفيد لنا ألا تنقرض هذه الأشياء دفعة واحدة. يجب أن تبقى. لا أعرف العديد من مقابر الطائرات ، لكن في «أورلي» ، هناك منطقة تُرسل إليها طائرات أظن أنها متخلى عنها ، أوأنها لم تعد تنفع

Twitter: @ketab_n

سوى لنقل البريد. ثمة تأثير غريب أن ترى طائرات مثّلت في الماضي قمة التقدم التكنولوجي فأصبحت أشياء غير مجدية ، وربما هي تتهمنا. عندما نمر أمامها نشعر بأنها تتهمنا.

□ **نحن الآن نسير على الطريق السيار في الجنوب. ليس فقط من أجل متعة السير ، بل بهدف معين ، فأنت تبحث عن شيء ما ، عن أحد ما. نحن نتجه إلى «ميلي لا ـ فوري» فماذا تبحث في «ميلي ـ لا ـ فوري» ؟.**

■ أولا أنا أبحث أساسا عن الغابة. إنها أحد الفضاءات التي تثيرني في نواحي باريس. في محيط باريس يوجد حزام من الأشجار منذ الفرنجيين والكول. إنها ما بقي من تلك المرحلة ، وفي باريس وحدها نشعر بذلك بشكل أفضل. ما إن نغادر باريس ونرى هذه الأسوار من الأشجار المحيطة بالمدينة ، يصيبنا الذهول من هذا التناقض ، أبحث عن حقول الذرة ، رأيت حقولا جميلة عندما وصلت إلى باريس. أعتقد أنها نبتت في حقول كانت مهملة منذ زمن قصير ، قبل أن تعاد تهيئتها وزراعتها. إن لها أهمية كبيرة بالنسبة لعاصمة مثل باريس.

□ **لكنك لا تبحث فقط عن الغابة في «ميلي ـ لا ـ فوري ، ولا عن الذرة. الأمر يتعلق برحلة صيد أخرى وبكنز آخر. إنك تبحث عن كنز في الذاكرة ، أليس كذلك؟ لقد جئت ومعك علامة معينة.**

■ نعم ، إنني أبحث عن بيت يقع في حي «سانت ـ فولفارن ، saint-Vul-fran في ضاحية «ميلي» Milly. ولست متأكدا هل سنجده أم لا. إنه بيت بورجوازي يعود إلى نهاية القرن الماضي ، بمدخنتين في السقف. فتحات أبوابه ونوافذه من الآجُرّ العديد من البيوت ، هنا ، تتطابق مع هذا الوصف. أبحث عن هذا البيت لأن أمي ولدت فيه. هنا أمضت سنتين

Twitter: @ketab_n

أوثلاثا من حياتها ، هي نفسها لا تتذكره. كنت أسمع باستمرار عن قرية «ميلي ـ لا ـ فوري». بالنسبة لي ـ اجتماع «الغابة» و«ميلي» فيه شيء من السحر. أتخيل بلدة ضائعة وسط الغابة ، يقطنها الحطّابون تقريبا. لا أعرف ما إذا كان ظني سيخيب ! ...

□ **هل تكون لك في المكسيك نفس الشخصية لما أنت عليه هنا؟**

■ لقد طرحت على نفسي السؤال نفسه لأنني أشعر بأنني غريب ...

□ **هنا أم هناك ؟**

■ خصوصا هناك ، على أية حال ، في وقت ما تساءلت عما إذا ما كان لوني قد تغير ، لأنني لم أكن أملك مرآة ، وبالتالي لا أستطيع رؤية وجهي. لا أرى نفسي كليا.

□ **ألا تملك مرآة في بيتك ، هناك ؟**

■ أنا أتجنب المرايا بشكل عام. لا أحب كثيرا هذا الشيء. إنه يحزنني. أتذكر عندما كنت شابا كنت أخبئها تحت الأغطية. لم أكن استطيع احتمالها. كان لها تأثير نافذة يستطيع أحد ما أن يراني من خلالها. إنها شبيهة نوعا بالصورة الفوتوغرافية. إنه من السهل أن تنفذ إلى الوجه في الصورة. إنها شيء يفتح أمامك الطريق بيسر. إذن ، تساءلت في وقت ما ، هل تغير لون بشرتي وشعري وعيني. فالأمريكوهنديون ، بالضبط ، يتميزن بعدم التحديق ، عندما تلتقي بهم وجها لوجه. الأمر الذي يجعلك تعتقد أنك مثل جميع الناس. وهذا في العمق هوالهدف المبحوث عنه.

□ **هل تظن أنك الشخص نفسه سواء في المكسيك أو في فرنسا. لابد أنه أمر يشكل صدمة. ألا تحس أنك تقسم سنوات عمرك إلى شخصيتين؟**

■ نعم ، إنه أمر صعب جدا أن تنتقل من عالم إلى آخر. صحيح ، فأنا أشعر

Twitter: @ketab_n

بأنني منفصم بيقاري (يعيش بين القارات) ! هناك لحظات أكون فيها مزدوجا. أتصور أنني أمشي. أحب السفر دون أن يوقفني أفق ما في المكسيك ، بينما أنا في أحد شوارع باريس هذا أمر غير سليم. حتى النظر لا يكون بالطريقة نفسها. في الأماكن التي أعيش فيها في المكيسك ، لا يلقى النظر على شيء قريب. فالنظر يتوجه نحو البعيد. إنه بلد الأراضي المنبسطة ، ننظر فيه إلى البعيد ، لا توجد بنايات كثيرة ، ونرى جيدا بين الأشجار. لنتصور بحّاراً قضى كل حياته على سفينته ، ونضعه في مدينة: يحدث معه نفس الشيء ، فهو لا يستطيع التأقلم ، هذا هو انطباعي تقريبا ، فأنا لا أحسن التأقلم.

□ **يمكن أن نتساءل ما إذا كان هذا الانفصام المسافر هونوع من التردد بين عقليتين ، أم أنه سينتهي إلى خيار ما.**

■ صحيح أنه أمر مثالي أن تعيش بشكل دائم في هذه القارة أو تلك. هذا شيء أحسه جيدا: ليس مريحا أن تكون بين عالمين. في جانب آخر ، وبكل الدوافع ، وباختيار شخصي ، لا أستطيع أن أفكر في الانتماء كليا إلى هذا العالم أو ذاك . أظن أن الانتماء إلى عالمين يساعدني في ما أقوم به حاليا ، في ما أكتب ، في ميولي الكتابية. إنه وضع غير مريح ، أجد فيه راحتي أنا في حاجة إلى هذا اللاتوازن. في حاجة إلى أن يكون لي بابان. لا أعرف ما إذا سكنت في بيوت ببابين ، أودرجان ، واحد للخدمة وآخر رئيسي: إنه أمر مثالي أن تستطيع الخروج من هذا أومن ذلك.

□ **هل المكسيك هوبابك الخفي ؟**

■ لا ، ليس خفيا ، لكنه إمكانية ، فيما أوروبا هي إمكانية أخرى ، ولهذا السبب ربما كتبت «الحلم المكسيكي» le rêve mexicain. ذلك يترجم شيئا حادا في ذهني. وأقول حادا كما نصف ألماً في الأسنان. إنه أمر يهمني

Twitter: @ketab_n

كثيرا ، الوقت الذي يلتقي فيه كائنان أو مجتمعان أو ثقافتان. لأنني أجد نفسي في هذا الوضع. أشعر أنني بين الاثنين ، في مكان الالتقاء. أتذكر ، مثلا ، فيما يخص المكسيك والغزو ، أن ما دفعني فعلا إلى الحلم ، هو تلك اللحظة التي كان فيها الإسباني يصعد قمة جبل «بوبوكاتوبيتل» فاكتشف مدينة «مكسيكو». كان يرتدي لباسا واقيا ، وعندما رفع واقية الوجه ، كان على ارتفاع ستة آلاف متر ، رأى مكسيكو تحته. قلت لنفسي: هذه هي اللحظة الرئيسية في ذلك التاريخ . هذا ما دفعني إلى الحلم. إن تأليف كتاب ، إذن ، هو محاولة الإمساك بتلك اللحظة الهاربة التي سيقع فيها شيء ما.

□ **بالضبط ، لقد تم الحديث عنك أحيانا باعتبارك كاتبا رؤيويا. غير أنك قلت في أحد الكتب: «لا أرى المستقبل».**

■ لا ، إلا إذا كنا نتطلع إلى مستقبل قريب جدا . في الواقع إنَّ ما أتطلع إليه هو مستقبل سيكون فيه عودة نحو أصل معين ، مستقبل ينهي دورة ، ويختم دورانا ، أو ثورة . في تلك اللحظة ، أظن أنني أستطيع رؤية شيء ما. لكنه ليس إطلاقا المستقبل الخطي. إنه مستقبل ينتج ذاته ، ويبدأ من جديد.

□ **«عجلة الزمن» la roue du temps**

■ عجلة الزمن ، نعم ...

□ **نحن على مقربة من «ميلي ـ لا فوري» كيف ترى هذا المنظر ؟ ماذا يوحي لك؟**

■ أجده جميلاً جداً. الضوء ، على الخصوص ، جميل جدا ، نظن أنه مغربل بالغابة ، نحس كما لو أننا وسط الزبد ، وأننا نستحم في حمّام نباتي. أنا

Twitter: @ketab_n

مسحور جدا بهذه المنطقة ، أجدها جميلة جدا. لا يبدوأنها تغيرت منذ الفترة التي عاشت فيها أمي هنا ، مما يعني أن ذلك قديم جدا ، إلى ما قبل حرب 14. لقد بقيت نباتية كما في السابق.

□ **لكن ، هل تظن أن ذلك البيت مازال موجودا هناك؟**

■ لا ، أبدا ، لا أعرف ماذا حصل له. إنه جناح عادي جدا. لست متأكدا هل سنجده أم لا ، لن يكون الأمر سهلا ، إنه يقع في حي يسمى ضاحية «سانت ـ فولفران» . معي بطاقة بريدية تساعدني على التعرف عليه.

□ **بطاقة بريدية تعود إلى العشرينات ، كما أظن ، عليها كتابة بالريشة ، نرى في مكان منها إشارة faubourg saint -Vulfran التي نبحث عنها. نرى في عمق البطاقة فيلا بورجوازية كبيرة ، بمدخنتين وبأحجار أتصور أنها حمراء.**

■ نعم ، جدي من أمي ، والد أمي. هومن استقر هنا ، كان طبيبا. طبيب قرية. أتذكر أنه كان يحكي لنا أنه كان ينتقل على متن عربة يجرها حصان لمعالجة المرضى ، لم يكن ينسى حمل مسدسه لأنه كان يقال أنه يوجد قُطّاع طرق في الغابة. كان يذهب إلى معالجة المريض وهويحمل المسدس. أمي أيضا كانت تحدثني عن المنطقة في المرحلة التي تلت حرب ألـ 14 ، كان الجوباردا جدا ، كانت حالات الجوتصل إلى أقل من 25°. إنه مناخ قاس جدا. كانت ترى أنها إذا كانت تتمتع بصحة جيدة ، فلأنها ولدت في «ميلي». الناس الذين يولدون هنا ، يولدون في مناخ قاس جدا.
(نبحث عن سانت ـ فولفران وعن البيت)

□ **كان جان كوكتو هو الآخر يملك بيتا في «ميلي ـ لا ـ فوري». هل كوكتو كاتب يلهمك؟**

■ نعم ، كوكتورجل رقيق جدا. نشعر أنه دائما ينساق وراء أهوائه ، وإغراءاته

Twitter: @ketab_n

وليس وراء عقله. أحب رسوماته على الخصوص.

□ **آه ، نعم ، رسوماته ! لكننا لا نشعر أنه قريب من الطبيعة.**

■ نعم ، ورغم ذلك ، فإن الطبيعة هي ما يصنعها الإنسان ، حتى أن الغابات تبدو وكأنها من صنع الإنسان ، بدون الإنسان لا يمكن للغابة أن تكبر ، كل شيء يحمل علامة الإنسان.

□ **هل هذا هوالانطباع الذي تولده لديك الغابة والمناظر الأوروبية ، انطباع أن تكون مصنوعة من طرف الإنسان. على العكس من المكسيك ؟**

■ نعم ، المنظر الطبيعي هنا يحمل علامة النظام. والأمر نفسه في المكسيك الذي هوأيضا بلد مصاغ من طرف الإنسان ، لكنه مصاغ بطريقة مغايرة. أظن أنه في المكسيك تم إدراك الطبيعة على أنها مكان يفرض فيه الثروات فقط بقدر ماهي فضاء للعيش ، ومكان يفرض فيه الإنسان نفسه ، ويحارب ، يتعلق الأمر بطبيعة شرسة وعنيفة أيضا. على كل حال ، غابة «ميلي» يعطي الانطباع على أنها آية جمال كبيرة.

(وجدنا البيت)

■ نعم ، هذا هوالبيت ، بكل تأكيد. لقد وصلنا عبر شارع آخر. هنا ، نحن نوجد في زاوية الصورة بالضبط. إنه جميل جدا بعمليات الترصيع الفيروزية هذه ، يبدوكما لو أنه سوار نافاجو. إنه أمر مؤثر أن تجد نفسك أمام هذا البيت. يبدوكما لو انه لم يتغير. البيوت المجاورة بقيت على حالها. الزمن لم يمر. فقط هناك القليل من الخيوط الكهربائية. هناك أيضا جهاز استقبال تلفزيون لم يكن موجودا هنا سنة 1907.

وإلا فإن كل شيء بقي على حاله.

□ **الغريب هي تلك الزخارف التي تحت النوافذ. لا أعرف هل بسبب تأثير حضورك. لكن هناك شيء من المكسيك.**

Twitter: @ketab_n

■ نعم ، أجد أن ذلك يشبه مسرحا يوجد في «ألبوكيرك» Albuquerque ، في المكسيك الجديدة ، شيده الأمريكيون بفكرة أنهم يبدعون وفق الأسلوب المكسيكي يسمى ال «كيمو» le quimo. لقد تم ترميمه منذ مدة قصيرة ، وهو يشبه عملية ترميم هذا البيت ، هناك ترصيع باللون الفيروزي ، والأحمر والأصفر. هناك تلك الأسماك المكسيكية ، تلك الأهرامات المقلوبة التي نراها في الأعلى ، يطلق عليها اسم القياسات المكسيكية ، في مقابل الأسماك اليونانية التي هي على شكل موجات.

□ **يوجد في مدخل هذا البيت رسم غريب ، أظن أنه حيوان ، أليس كذلك؟ يضع قبعة هندية.**

■ نعم ، نعم ، ...على كل حال إنه أمر مؤثر أن نرى ذلك ، وأن تفكر في أن كل شيء بقي كما كان. عندما نؤلف كتابا ، نحلم قليلا في هذا الأمر ، ليس في إيقاف الزمن ، طبعا ، ولكن في إدامته أكبر مدة ممكنة. وأن نعيشه إلى مالا نهاية. وهنا ، أشعر أنني أعيش شيئا ما من جديد. عندي إحساس بأن الباب المشبك سيفتح فجأة ، وأنني سأرى فتاة صغيرة تظهر ، ستكون هي أمي. كانت تقيم في هذا البيت وهي بين السنة الثانية والثالثة من عمرها. سأقترب لأرى.

□ **إنه بيت له ذكريات ...**

■ المثير هو قطعة الحجر هذه ، أظن أنها حجر الكذان (*حجارة خفيفة نخرة توجد عند مرمى الموج* (المترجم). هل هذه هي حجر الكذان؟

□ **لها طابع مرجاني ... كل الزخارف اللوكلوزية (نسبة إلى لوكلوزيو) حاضرة هنا.**

■ الآ ُرّ الممتلئ أكثر جمالا ...

Twitter: @ketab_n

□ **نعم ، إننا نراها ، تلك الأهرامات ، المقلوبة المصنوعة من الآجُرّ الأحمر ، الأزرق والأصفر.**

■ زخرفة شعار النسب محبوكة.

□ **إنه أسد ...**

■ صحيح أن هناك وفرة من الزخارف التجميلية من مراحل مختلفة ، نستطيع أن نرى أزهار اللوتس. هناك أيضا نباتات الماغي والأغاف المكسيكي المحاطة باللازورد ... وانظر إلى تلك الزخارف في الأسفل ، إنها تشبه الزخارف العربية والأندلسية ... وزهرة البحر هذه ، أوذلك الأسد المتوج بالريش ، هناك ... وجه ثعبان من الريش في «ميلي ـ لا فوري» !

□ **إنه فعلا بيت جميل ، هل تعرف قصة جدك؟ قصة هذا البيت ؟ وقصة أمك؟**

■ لا ، لقد استأجروا هذا البيت. مكثوا هنا مدة. فيما بعد ذهب جدي ليمارس الطب في مكان آخر. وقد بقي دائما في الغابة مادام أنه ذهب إلى «إيرمانوفيل» Ermenonville ، ثم إلى «فونتانوبلوة» Fontainebleu. وأفترض أنه كان في حوزته دائما مسدسا لمواجهة قطاع الطرق. من بين القصص التي حكيت لي في طفولتي احتفظت ذاكرتي واحدة ، غريبة جدا ، وهي عن الورق المشتعل الذي نرميه لإبعاد الذئاب ، لأنك وأنت تجتاز الغابة تكون متبوعا بالذئاب. أعتقد أن تلك القصة حدثت هنا ، في «ميلي ـ لا ـ فوري». من جانب آخر ، أعتقد أنني أتذكر أن أمي كانت تقص علي حكايات عن الذئابين. لقد كانت هناك جمعية خاصة بالذئابين في تلك الفترة الناس كانوا يخافون الذئاب كثيرا. كان جدي ينتقل سرا. كان يقود حصانة بنفسه ، وحتى لا تقترب منه الذئاب ، كان يحرق من وقت لآخر

Twitter: @ketab_n

كبة من الورق ويرميها وراءه لإبعاد الذئاب. من الصعب تصور كل ذلك ونحن اليوم هنا. هذا البيت هو بمثابة شهادة عن زمن بأكمله.

□ **هذا مدهش جدا. أمام أعيننا بيت وصورته القديمة في وقت واحد ، وهما متشابهان. الأشخاص وحدهم هم من ينتمون حقا إلى سنة 1907.**

■ إنها مجموعة من ساكنة «ميلي ـ لا ـ فوري» ، نساء يرتدين بذلة تعود إلى بداية القرن: تنورة سوداء ووزرة.

□ **بينهن أمك ربما ؟**

■ لا ، لقد سبق أن سألتها عن وجودها في هذه الصورة ، ونفت ذلك ، إنهن فلاحات صغيرات من «ميلي» ...

□ **ماذا لو ضربنا الجرس ، ودخلنا ، ستبدأ قصة جديدة.**

■ نعم ، بكل تأكيد ، لكن علينا ربما عدم الذهاب بعيدا ، من الأفضل أن نبقى أمام المظاهر الخارجية.

Twitter: @ketab_n

5
الكتابة مثل التحليق في السماء

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

□ **نحن الآن في «فيرتي أليس» la Ferté Alais ، فوق هضبة تشرف على «ميلي ـ لا ـ فوري». لقد تم إنشاء ميدان للطيران على الطراز القديم ، بكل تأكيد ، هنا كان جدك يحلم بالطائرات.**

■ صحيح أنه كان يحلم بالطائرات ، إلى درجة أنه وضع تصميما لطائرة كان سيقدمها للعرض ، على ما أظن. كل ما بقي من هذا التصميم مجرد قطعة من الأبنوس. أظن أنه في الواقع كان يأتي إلى هنا. ونحن هنا تحس مرة أخرى أن الزمن لم يمض. نستطيع أن نرى هذه الطيور الكبيرة وهي تحلّق.

□ **إنه عبارة عن متحف. غير أنه متحف حي يمتلكه «جان ساليس» . كان جدك يعرف والد هذا الأخير ، أو جده. إنه متحف حي يختزل كل تاريخ الطيران.**

■ هناك شيء ما ساحر في هذه الآلات القادمة من مرحلة أخرى والتي ، رغم ذلك ، مازالت قادرة على الطيران. إنه شيء رائع. رائحة المحركات، ومظهر هذه الطائرة نفسه يستدعي المغامرة ، نشوة أن يتلبسك القلق في الهواء. أعتقد أننا لا يمكن أن نمنع أنفسنا من الحلم أمام هذا. إنها تختلف

Twitter: @ketab_n

عن الطيران الذي نعرفه اليوم. إنه قريب من الأسطورة ومن الخيال أكثر منه إلى التقنية.

□ **نعم ، نستطيع الحديث عن الأسطورة. لقد قرأت أطروحة جامعية عنك ظهرت مؤخرا عنوانها «جان ـ ماري لوكلوزيوو أسطورة إيكاروس»❖.**

Jean-Marie le Glezio et le mythe d'Icare.

■ نعم ، لقد قرأتها. أظن أن داخل كل كائن بشري توجد الرغبة في الانفصال عن الأرض وتذوق نشوة العصافير. الرغبة في أن يكون منفصلا عن كل شيء وتوسيع أفقه ، وفي أن تصبح السماء هي الأرض ونصبح جيران الغيوم. لقد حلّقت بهذه الطريقة على متن طائرات صغيرة.

□ **مثل هذه الطائرة ، مثلا. أمامنا الآن طائرة ذات سطحين تعود إلى الحرب العالمية الأولى ، بعجلات تذكرنا بالعربة أو النقّالة ...**

■ لا ، لم أعرف مثل هذه الطائرات. لكنني حلّقت على متن طائرات صغيرة جدا ، تلك التي نسميها طويئرة Avionnettes ، وعلى متن طائرات أخرى. لكن الغريب هوظننا أن المحرك هو تقريبا مجرد شيء ثانوي في هذه الطائرات ، أوعلى الأقل نستطيع أن نتدبر أمرنا باستعمال العجلة الحرة ، كما لوأننا فوق دراجة هوائية. فنحن نشعر أننا في استقلال تام عن المحرك وعن كل ما يمت بصلة إلى التقنيات الأخرى. يكون لنا حدس أننا نضطر إلى ارتجال كل شيء وبدون توقف. قم بحساب كل ذلك في النهاية .... أنت التي تقود الطائرة.

□ **هنا ، أمامنا ، تصطف طائرات قديمة جدا ، طائرة «داكوتا» ـ قديمة تعود**

❖ إيكاروس الأسطوري الذي تخلص من متاهته بصنع جناحين من الشمع استطاع الطيران بهما هو ووالده ديدال. لكنها عندما اقتربا من الشمس ذابا وتلاشيا في بحر إيجه (المترجم).

Twitter: @ketab_n

إلى الطيران الفرنسي ـ وطائرة «لوكيد 18»...

■ لقد تم استعمال هذه الطائرات حديثا. أثناء حرب الخليج تم استعمال هذا النوع من الآليات.

□ **أعرف ربانا قام بتحديث طائرة مثل هذه تماما. لقد اشتراها في فلوريدا من فلاح كان ينقل على متنها الكتاكيت.**

■ أعتقد أنني سافرت في «البيرو» على متن طائرة مثل هذه ، حَلَّقَت من «ليما» إلى «إيكيتوس» مجتازة سلسلة من الجبال. فهي تستطيع أن تحط فوق المدرجات الصغيرة جدا.

□ **أنظر هنا ، ألى «نورث أمريكان تـ 6» ، طائرة التدريبات القديمة التي كان يتمرن عليها القنَّاصة الأمريكيون ...**

■ هذه تجعلنا نفكر في سمك القرش وليس في الطائر. هنا مرة أخرى ، نحن أقـرب إلى الخيال. على الطائرة أن توحي بالتهديد ، أوتعطي انطباع السرعة ، وهذا هوالهدف من صناعتها. إننا نعطيها طابعا ماديا . عندما تتم صناعة الطائرة ، يكون قد تم تحيين أشكال لا تنتمي كليا إلى الطبيعة ، لكنها الآن أصبحت جزءا منها.

□ **تريد أن تقول إن صناعة الطائرة هي صناعة شكل ، لكننا ربما وجدنا شكلا كان موجودا قبليا في جزء ما من العقل ؟**

■ هذه الطائرة هي من نوع «لوكهيد» ، إنها تذكرنا بحيوان بحري. أظن أن هذه الصناعة موكولة لعلم يختص بحركة الأجسام المادية في الهواء. لم يعد هذا العلم ينتج هذه الطائرات. لقد تم اختراع شكل تم التخلي عنه ، لكن شكله بقي في خيالنا. اليوم خاب ظننا قليلا في أشكال الطائرات ، لأنها لم تعد تستدعي فكرة السرعة التي يستدعيها الدلفين أو القرش.

Twitter: @ketab_n

□ **بعض رواياتك تخترقها الطائرات.**

■ نعم ، الطائرات المروحية على الخصوص. أظن أن كل طفل ، وحتى كل إنسان ، يحلم عندما يرى طائرة تحلق ، فترسم وراءها خطا يبقى مدة طويلة في السماء. بعد ذلك نسمع هديرا بعيدا يصدر عن المحرك ، فنخاله قادم من كل الجهات دفعة واحدة. أظن أن ذلك يحمل معه أحلاما بالسفر ، بالمغامرة ، بالحرية. إننا ، في آخر المطاف ، نهرب من كل إكراه.

□ **ألم تحاول مرة قيادة الطائرة ؟**

■ نعم ، حاولت عدة مرات. كان ذلك في التايلاند. ثم في باناما. لكنني لم أستمر. إن ذلك يتطلب المثابرة. إضافة إلى أن الدروس كانت تعطى في المطارات العسكرية ، الشيء الذي لم يكن دائما سهلا. لكنني لم أفقد الأمل في تحقيق هذا الحلم القديم.

□ **لنعد إلى أسطورة «إيكاروس» ، وبعيدا عن هذه الآلية ، نجد أن مبدأ الترفع هو بمثابة محرّك في كتبك.**

■ نعم ، إنها الرغبة في الهروب من كل إكراه أرضي ، أي أن تكون لك رؤية أوسع ، وأكبر ، لتنظر بعيدا ولا ترتبط بالتفاصيل. عندما نكون في الأعلى ، تتحرك الأرض ببطء . وهذا شيء رائع . إن هذه النشوة هي ما نجده في الطائرة. وذلك بعيد جدا عن فكرة السرعة كما نتصورها فوق الأرض. كل شيء يبدو متباطئا ويثير القلق ....لقد كتب «سانت ـ أكسوبيري» أشياء رائعة في هذا الخصوص.

□ **أية رواية من رواياتك تبدأ بطفل ينظر إلى الطائرات ؟**

■ يجب أن أتأكد. لكن أعتقد أن في كل رواياتي مشهد طائرة تمر. لأن ذلك يمثل شكلا مرئيا من أشكال الحرية. إذا كان علينا أن نرسم الأمل ، بدون

Twitter: @ketab_n

ادعاء ، فإنه سيكون مجسدا في طائرة تعبر. هذا هوالأمل الذي يمكن تصوره ، وذلك مرتبط ربما بصور قديمة جدا. أتذكر حرب 39-45 . كنت في «نيس» ، فنشبت معركة جوية أمام بيتنا بالضبط. من الحرب كلها لم أحتفظ سوى بهذه الصورة الرائعة ، والجميلة في النهاية ، لطائرات تواجه بعضها ، تفر من بعضها فيما يشبه رقصة باليه جوي. لم أشعر بأدنى رعشة خوف. ربما لم أكن محقا في ذلك. واحتفظت بفكرة أن الطيران في تلك الفترة ، الفردي جدا ، يحتوي على شيء رائع فروسي. نستطيع مجددا أن نجد ذلك اليوم ، عندما نأتي لمشاهدة هذه الطائرات العتيقة ، هنا ، فوق هذا الميدان.

□ **هل تجد العقل الفروسي أيضا في العالم الحديث ، في أوروبا؟**

■ أعتقد أنه مازال حيا في مجالات مثل الطيران والملاحة ، حيث يستطيع الإنسان أن يواجه ، بسبب هشاشة الآلة ، ظروفا صعبة. حيث لا يستطيع الاعتماد سوى على نفسه ، ورؤيته ، وحدسه ، وردود فعله. وهذه هي المناسبات التي يظهر فيها العقل الفروسي بكل تأكيد. وفي كل الحالات يكون أفضل من كل الظروف العصيبة في الحياة اليومية. أظن أننا في حاجة إلى هذا القدر من الحلم لتحمل الطرق المرهقة ، وطائرات شارتر ، وكل ما نجده صعبا في العيش.

□ **عندما أراك وسط هذا المنظر الخاص جدا ، وسط هذه الألعاب الجميلة ، على هذا الميدان ، أتصور وأنا أراك ، أنك كان يمكن أن تؤدي أحد أدوار فيلم «فرسان السماء». فأنت تملك طيف شخصيات الرسوم المتحركة ، العزيزة على قلبك.**

■ أنا أراك في عمق «داكوتا» ، وأجد ذلك جيدا جدا. إنها بمثابة هندسة معمارية ، ومخلوقات إنسانية صافية جماليا. لقد وصلت إلى الكمال لأن هذه

Twitter: @ketab_n

الأشكال الجوية تم استيحاؤها من القرب ، مما يوجد في الطبيعة: الأسماك والطيور. إن هذا التوازن بين الواقع والخيال ، بين الحيوان والإنسان ، ملائم جدا ، وجميل جدا.

□ **سنغادر ميدان «لافيرتي أليس».**

■ لقد رأيت أشياء رائعة ، كنت أظن أنني لن أراها أبدا. طائرات لم يسبق أن رأيتها إلا في الصور أو الرسومات. والتي كانت تحلّق قبل اندلاع الحرب ، أو خلال الحرب. الجنود الذين يضرمون النيران أو يلقون القنابل يحلّقون على متن الطائرات ليلتقطوا الصور. إنه أمر غريب ...الأشكال ، وحتى الألوان ، كانت غريبة جدا. كل ذلك يحدثك عن عالم مختلف.

□ **إنه إحساس فوق طبيعي تقريبا.**

■ نعم ، فوق طبيعي. كنت أفكر في تلك الشعوب التي أبدعت تماثيل لتقديس الطائرات. أظن أنه في الطائرة شيء غير واقعي ينتمي إلى مستوى أعلى.

□ **المرائب تغلق وراءنا. ونحن نوجد فعلا في القرية. نسمع دقات الأجراس ، ونباح الكلاب ... ثمة حياة هنا ، خفية ، قرب هذه الأشياء الخرساء ...**

■ صحيح أن هناك شيئا رائعا في هذه القرية الهادئة والأليفة ، بطيورها الكبيرة الموقوفة ، الجامدة ، والتي تتحدث عن زمن آخر ، عن سماوات أخرى. عن رحلات استكشافية وعن أسفار رائعة ، أظن أن هذا ما يدفع إلى الحلم. القرية الباريسية تحتوي على ما يمكن أن يتحدث عن إفريقيا ، عن سماء الأمازون ، عن اختراق سلسلة جبال «الآند» ، وبكل بساطة عن المعارك التي دارت فوق «المانش» ، عن كل ما يهرب من الزمن اليومي ، عن زمن كل يوم.

□ **وبالنسبة إليك ، هل الكتابة هي هروب من الزمن اليومي ، عن زمن كل**

Twitter: @ketab_n

يوم ؟ هل في ذلك تلك الرغبة في الخلود التي تحدثنا عنها قبل قليل من خلال هذه الطائرات ، ومن خلال ذلك البيت ؟

■ نعم ، إنه من الأفضل أن نكتب كما لو أننا نحلّق: الانطلاق ، ثم فقدان أي تواصل مع هذه الحقيقة التي تولد عندك في الغالب الضجر. وإبداع حياة جديدة ، بعد جديد ، ثم العودة إلى الأرض ، كما قال «سانت إكسوبيري» برؤية مختلفة. إذا كانت الكتابة هكذا ، فهي شيء جيد. ربما هي كذلك في بعض الأحيان ، أوشيء من هذا القبيل.

□ **إذن هذا كل شيء. سنغادر «لافيرتي أليس» ، نمتطي السيارة ، وننطلق على الطريق السيّار ، ثم تنتهي ...سأبقي على هذه الجملة: الكتابة مثل التحليق في السماء.**

■ أفكر الآن في أنني عشت ، منذ بداية هذه الحوارات ، أشياء قوية معك. اللقاء مع هذا البيت ، في هذا المكان الهادئ جدا ، حيث نشعر فيه بأن الزمن لم يتغير ، ولم يمر ...بعد ذلك رؤية هذه الطائرات الجامدة ، على حافة ميدان الطيران ، بشعور أنها في أية لحظة ستحلق ، وأن كل شيء سيبدأ من جديد ... أظن أن ذلك ما تمنيته إلى حد ما ، وقد حدث فعلا. لقد رأينا وهم الزمن وهو يعبر من الجانب الآخر من الأشياء. إضافة إلى أننا عثرنا من جديد على حقيقة كنت أعتقد أنها اختفت. والحقيقة أن الكتابة هي شيء من ذلك.

صحيح أن الكتابة والطيران شيء واحد: عندما نصعد هذه الطائرات ـ والشيء نفسه بالنسبة لوصولنا أمام هذا البيت في «ميلي ـ لافوري» ـ ننسى كليا مرور الزمن. ننسى كل ما هوزائد في الحياة اليومية ، تلك الأشياء التي نتشبث بها ، أوهي التي تتشبث بنا وتخدشنا ، ولا أهمية لها. عندما نطير يكون لنا إحساس أكثر اتساعا وشساعة ، كما أننا نتنفس بشكل أفضل.

Twitter: @ketab_n

□ **لقد وظفت جملة هي عنوان لأحد كتبك : «رحلة إلى الجانب الآخر».**

■ نعم ، إلى الجانب الآخر من الأفق. الشيء الذي لا نستطيع بلوغه ونحن نحلّق فوق أعلى قمة جبل ، أوفوق البحر ، أوبكل بساطة ونحن ننظر إلى أعماقنا ، أونعيش شيئا ما بكثافة وحب. إذن ، نحن لا نستطيع الوصول إلى ما فوق الواقع هذا ، بل الوجه الآخر من الواقع.

□ **سأطرح عليك سؤالا شخصيا جدا ، ما دمنا نتحدث في الحميميات. أعتقد أن هذا الشعور الخاص بي يقتسمه معي العديد من قرائك: عندما أفكر فيك ، أفكر في كاتب نرغب كثيرا في قراءة كتبه ، لكنه يعطينا شيئا يتجاوز المتعة الأدبية. هل أنت واع بأنك تثير هذا الشعور؟ وأنت تعرف بأي شعور يتعلق الأمر.**

■ أرى جيدا ما تقصده ، في الواقع الكتب التي أحبها هي تلك التي تعطيني الإحساس بأنها تحتوي على شيء ساحر. ليس فقط الكلمات أو قصة الكتاب فقط ، ولكن أيضا كل ما هو بين السطور ، وكل ما نحسه ويشكّل بالنسبة للكاتب مغامرة شاملة. إنه يبادلنا مالا يقال ، الصمت ، النظرة ، وذلك الشيء الذي نصنعه معا ، ولا نستطيع صناعته لوحدنا. عندما أتحدث عن الطيران ، أفكر في ذلك إلى حد ما ، لأنه عندما يصعد الربان ، هذا المجنون الرائع ، إحدى الطائرات فإنه لا يستطيع الطيران لوحده ، إنه يحمل معه نظرة أولئك الذين يراقبونه. إنه نوع من الحلم الجماعي. وعندما يصل الأدب إلى ذلك ، يكون قويا وحقيقيا وجميلا.

□ **إنك تمنح الإحساس بما وراء المتعة الأدبية. وهذا الماوراء يشكّل جزءا من سرك أيضا. إن كلمة حكمة هي ما يخطر على ذهني. شكل من أشكال الحكمة. نمط من أنماط الوجود الذي نحسه بواسطة لغز حياتك نفسها ، والتي في النهاية لا نعرف عنها شيئا.**

Twitter: @ketab_n

■ كلمة حكمة تدفع إلى التفكير في شخص بلحية طويلة ، وتجربة طويلة ، وله قليلا من المرارة تجاه الأشياء.أو إذا أردت فإنها حكمة ، شريطة أن تعرف كيف لا تبقى حكيما ، وأيضا كيف تلهومع الأشياء. من الجميل جدا أن يكون الحكماء مجانين ، ويعرفون الضحك.

Twitter: @ketab_n

جان - لويس إيزين

من أنت سيد لوكليزيو؟

تأثر «لوكليزيو» بالعديد من الأنساق الفكرية ، خصوصا أثناء رحلاته وأسفاره العديدة. فوراء نصوصه ، الأدبية والفكرية، نلمس نوعا من «التوليف الأسطوري» حسب تعبير «فريدريك ويسترلوند» . وهو توليف ومواجهة تقع بين التفسير العقلاني العلمي للعالم ، وبين التواصل الصوفي المعتمد على تجربة وحياة الرواة القدامى. فخلال دراسته كان منجذبا إلى الميثولوجيا الإغريقية والرومانية. بعد ذلك تشبع بعناصر من البوذية والزن ونمط عيش الهنود. لذلك نجد «لوكليزيو» يتمتع بنوع من الديالكتيك بين متناقضات نشيطة: الإنسان/ العالم. الإنسان/الحيوان. الخيال/ الواقع. الجمهور، المجموعة/ الفرد. النظام/ الفوضى. الأفقي/ العمودي. قبولادي/ بعد ولادي. الضوء/ الظل. والوسط الطبيعي/ الوسط المديني... وهذا ما يدافع عنه بقوة طيلة هذا الكتاب.

@ketab_n

أثر
تلفاكس 5522544 6 00962 ص . ب 950252 ، عمّان 11195 الأردن